د. محمد بن سرار اليامي

أنا...
بعيدًا عن الأنا

اعترافات .. وتجارب .. عفو الخاطر ..

المكتب العلمي الخاص

دار الظاهرية

أنا...
بعيداً عن الأنا

الطبعة الثانية - منقحة ومزيدة
١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م
جميع الحقوق محفوظة

الكويت - مدينة سعد العبدالله - الدائري السادس - ق3 - م28
Website : www .daradahriah .com
E-mail : daradahriah@gmail .com
(+965) 99627333 - (+965) 51155398 - (+966) 559221028

الموزعون المعتمدون

دار أندلسية للنشر والتوزيع
(الكويت)
darandalusia@hotmail.com
(+965) 94747176

دار التدمرية للنشر والتوزيع
(الرياض)
tadmoria@hotmail.com
(+966) 114925192

مكتبة الميمنة المدنية
(المدينة المنورة)
daralmimna@gmail.com
(+966) 558343947

مكتبة الشنقيطي للنشر والتوزيع
(جدة)
hassan_hyge@hotmail.com
(+966) 504395716

المكتبة الأسدية للنشر والتوزيع
(مكة المكرمة)
alasadi2000@hotmail.com
(+966) 125273037

مفكرون الدولية للنشر والتوزيع
(مصر الجديدة)
mofakroun@gmail.com
(+2) 01110117447

د. محمد بن سرار اليامي

أنا... بعيداً عن الأنا

اعترافات .. وتجارب ..
عفو الخاطر ..

دار الظاهرية للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحیم

إهداء

إلى من عَرفتُ بها موارد الحياة، ودقائق معانيها.. إلى من أيقضت روحي بصفعة على جبين ظني الحسن بالناس، فعادت نفسي راشدة جامدة، بعد أن كانت كالعطر الفوّاح في جونة العطار.

إلى تلكم القاسية اللطيفة..، الواضحة حَدَّ الوقاحة..، الصادقة حَدَّ الصفاقة.. الصادمة حَدَّ الفاجعة.. أهدي حصيلة ثمرتها عليَّ، وعظيمُ فضلها إليَّ..، أهدي «أنا.. بعيداً عن الأنا» في حلته الجديدة، وطبعته الفريدة.. وزياداته العديدة..

أهديها إلى حضرت: «المواقف الكاشفة»..

شكراً أيتها المواقف الكاشفة، فكم كشفت لي عدواً في ثوب صديق..، وكاذباً في ثوب ناصحٍ مشفق.. ومجرماً في ثياب واعظ..، وزنديقاً في ثياب مؤمنٍ.. شكراً ألف..

تلميذكِ

أنا

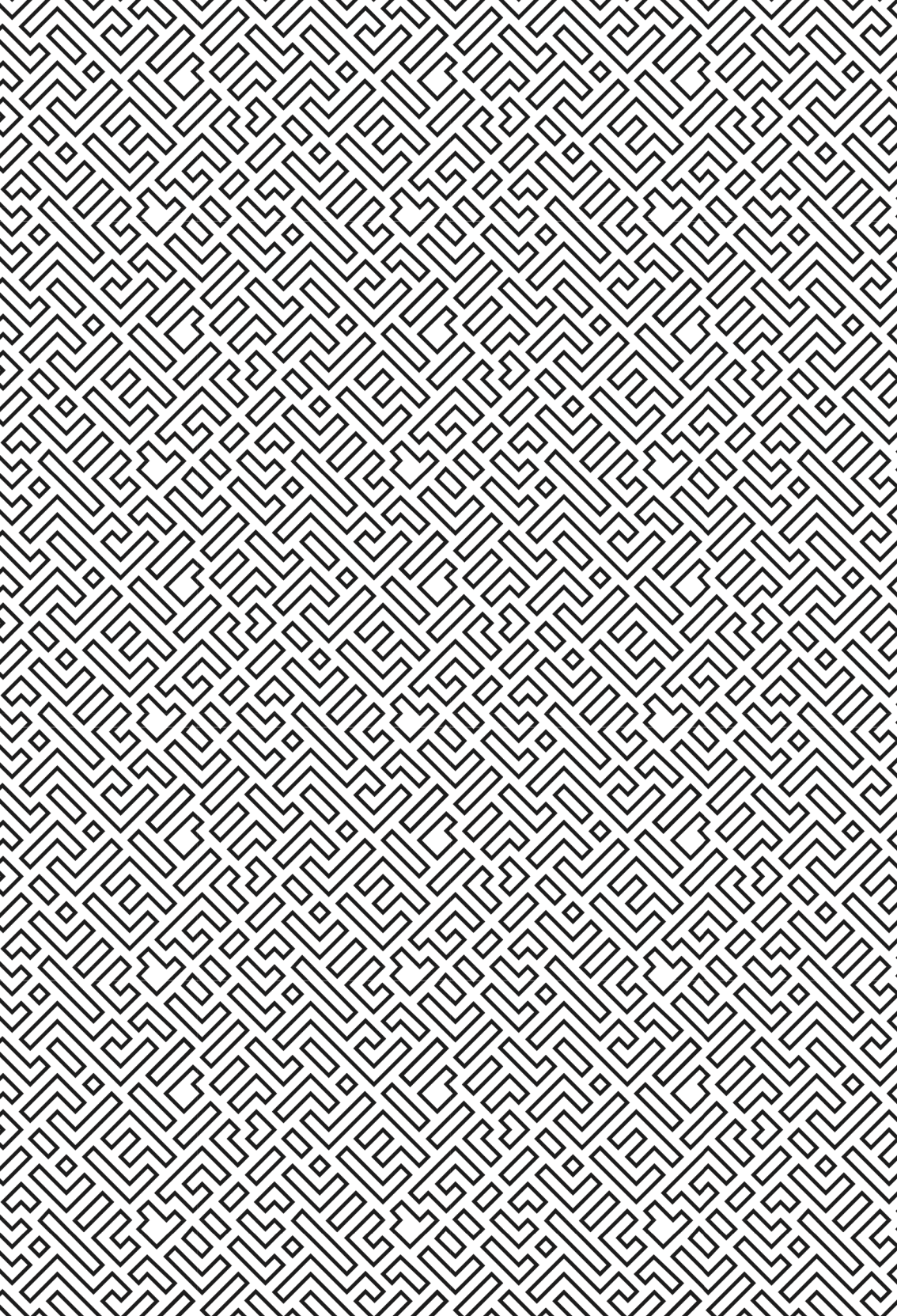

مقدمة الطبعة الثانية

هـذِه الطبعـة الثانيـة مـن هـذَا الكتـاب اللطيـف الفكـرة .. الخفيـف العبـارة .. الكثيـف التجربـة..

لم أكن أظن أن له هذَا الأثر ...

حتى أصبح حديث كل من قابلني ...

وما هذِه الطبعة الثانية إلا دليل ذلك...

ولعل غرابة الجرأة ...

والكتابة في شيء من الممنوع عرفًا جعله بهذه المنزلة...

لكنـي أرجـو اللـه له القبـول في طبعته هـذه وما هو إلا رشـم القريحـة، ووشـم الزمن .. على أديـم الذات.

ولمّـا عرفـت الكتابـة قـدري.. وهـي الوحيـدة.. عرفـت قدرهـا، ومعـي كُثـر..

فطفقـت أخلـو بدفاتـري تـرى أبثهـا هَمِّـي وأرشـمُ علـى صفحاتهـا آمالـي، وآلامـي..

وتركتُ الناس، كُلّ الناس..

وكُلّ وسـواس خنـاسٍ يوسـوسُ فـي صـدورِ النـاس مـن الجنـة والنـاس.. وطفقـت أنعمُ بكتبـي.. فحياكـم الله علـى مائدة التجـارب.. ومفاتيـح الحيـاة..

بواكير

أنا بعيدًا عن الأنا..

أنـا بعيـدًا عـن التكلُّـف والتعسُّـف بـكلِّ بسـاطة وصراحة.. والحقيقـةُ..

لا شيء أصعب على النفس من التحدث عنها..

غير أني آثرت خوض هذه الغمار شغبًا على الصمت...

وتفلُّتًا من ((الأنا)) المذمومة، وبوحًا بالمسكوت عنه..

ومـا هـذه المحاولـةُ إلا خروجًـا بالنفـس إلـى آفـاق الواقع، وكسـرًا لصنـم ((العنديـة))، وهتـكًا لحـرز الكهنوت الـذى صنعه البعـض حـول نفسـه، علـم أم لـم يعلـم.. ومـن خـلال هـذه الوريقـات.. سـنُنَبِّشُ فـي الذكريـات والآلام والآمـال..

عسى منتفع ينتفع.. فهي معالم فكر...

ورايات طموح...

وكشف مستور..

وجـرأة علـى الـذات.. فخذهـا بقـوة.. واعلـم أنهـا كتبـت بتلقائيـة... وهـي عفـو الخاطـر... ولقـد وجـدتُ أن أجمل شـيء فـي الحيـاة أن تعيشـها كما هي بـكل تلقائيـة وعفوية، وبـلا تكلف

فالتكلـف صَنَـع مـن النـاس دُمًـى بـاردة بـلا مشـاعر... بـل حلـت الماديـة الجافـة مـن النـاس محـل سـوء...

فعـاش النـاسُ جفافًـا عاطفيًّـا، حتـي باعـوا عواطفهـم.. وامتهنـوا أحاسيسـهم، وخاضـوا فـي أوحـال المجامـلات الممجوجـة..

حتـى أصبحتَ تشـعر بالاختناق إذا غشـيتَ مجالسـهم.. وما هـذه الوريقات إلا زفـرات مصدور..

خاضعةٌ لناموس الحق... أ.هـ.

((**محمد**)).

يقول بنيامين فرانكلين:

«إمـا أن نكتـب شـيئا يسـتحق القـراءة، وإمـا أن تفعـل شـيئا يسـتحق الكتابـة».

قال الأول:

كل امرئ صائرٌ يوماً لشـــــيمتهِ
وإن تخلَّـــــق أخلاقـــــا إلى حين

سلطان الأفكار

أجدني مضطرًا لوضع هذه المقالة ...

في هذا المكان...

وما ذلك إلا لأن هذه الخواطر حصيلةُ كؤوس من الشاي معتقة... وكأنها تقول للأفكار ... من بعدها...

استووا... اعتدلوا...

يقول بيكون:

«القراءة تصنع الرجل الكامل، والنقاشات تصنع الرجل الجاهز، والكتابة تصنع الرجل الدقيق».

قلت: والشاي يصنعُ ذلك كله، بالرجل البسيط..

حصافة:

الحصيف هو الذي يُقَسِّمُ اهتماماته على الدارين..، كُلُّ دارٍ بما تستحقه.

– ميزانه في ذلك؛ العمل على قدر الإقامة..

كأس من الشاي

مـاذا عسـى أن يكتب الإنسـان، وهـو يحمل قلـم الإعجاب، والحـب .. لاشـك أنه لـن يكـون موضوعياً.

ولا حتـى بقريـب مـن الموضوعيـة ... كيـف لا .. ومحمـد يكتب عـن الشـاي..

ذلـك المخلـوق الرقيـق .. ريقـهُ رحيـق... وعَرْفُـهُ عتيـق .. ولونـه عقيـق .. وهـو بالمـدح خليـق وبالوصـف حقيـق.

مرابعهُ الخضـــــراء مرباعها قلبي
وترتبهُ السمراء أصل شذى التُربِ

شـــــرابُ كأن الكأس فيه مُعَلَّقٌ
بنجم سُهيلٍ؛ بل سهيلٌ على قربِ

طربت به في مجلس الأُنسِ ساعةً
وخير ســـــويعاتي بفهمي قد تنبي

به ينجلي هَمّـــــي وعمي وضيقتي
وتشرق روحي والهدوء لها يسبي

إذا أقبلـت جيوش الهَـمّ والكدر، واصطفت عسـاكر الفِكَرْ .. لقيتهـا بكأسٍ من الشـاي المعتق ..

إذا ســـــاق هَمُّ الدهر نحوي جيشهُ
ألاقيه من أقداح شـــــايٍ بعسكرِ

كما يقوله الصافي في رائعته، في وصف الشاي ومجالسه..

ولـو رأيتنـي وأنـا أتغـزل فـي لونـه، ثـم فـي طعمـه، ثـم فـي رائحتـه..، ثـم فـي أثـره علـيَّ

لرأيـتَ عجبـاً .. خصوصـاً إذا مـزج بالزعفـران.. فـلا تسـل عـن القـارئ النهـم كيـف يقـرأ، ولا عـن الكاتـب المكثـر كيـف يكتـب، ولا عـن الحبيـب كيـف يلاقـي محبيـه ...

فالشاي .. شراب الحُبّ، وطعم الحب .. ومزاج الحب..

هو الشاي فاشرب، أو فدعهُ فإنني
لغيـــــر عتيق الشـــــاي لا أتذوقُ

شربت كؤوس الشاي عصراً وبُكرةً
صبوحاً، غبوقاً .. ذاك شايٌ ورونقُ

فقلل للذي أمسى، وأصبح عاشقاً
فكأس الهوى العذريِّ شايٌ معتقُ

كلمـا اسـوَدَّ لونـه، أشـرقت شـمس فكرتـي.. وكلمـا تَوَفَّـرَ، توفـرت همتـي ...

للقراءة والكتابة، والمطالعة..

بل والمجالسة والمسامرة...

هـو مفتاح صندوقي الأسـود، وهـو رقية الحبِّ فـي حياتي.. رشـفة من شـفاته تروي ظمأ المحب المسـتهام ... ونظـرة في لونه العقيقي تنسي الآلام..

عَـرَفَ ذلـك كل مـن خالطنـي، واقتـرب منـي .. فأصبحـوا يهدوننـي منـه أشـكالاً وأنواعـاً..

وأصبحـتْ جمـوع الشـاي تتمكـن منـي، بـل وتهزمنـي فـي معـرة العـادة، فالعـادة يـا سـادة، مُقيِّـدة..

لذاذة الشـــــاي حقاً نفحة الشاهي
عطراً لديَّ، وعطر الشاي بالشاهي

فهو السرور لنفسي، وهو سلوتها
وهو الأميرُ لهـــــا، والآمر الناهي

وهو المذابُ عقيقـــــاً في تأنقهِ
وهو المـــــذابُ رحيقاً أيها اللاهي

يسعى بروحي وأعماقي وذاكرتي
حتـــــى يُذَكِّرَني واللـــــهِ .. باللهِ

يهـدي للتأمـل، والتفكـر فـي آلاء اللـه جـل وعـز .. وهو من أبهرهـا فـي عيني..

ومـن عاداتـي الشـخصية أنني شـخصية تحب الإجمـال، إلا

في الشـاي أحـب التفاصيـل كلها..

ومن أحبَّ عَشق تفاصيل محبوبه..

وبصراحة ..

حاولـت المقاومـة فـي ميدانـه..، لكـن واللـه رفعـت الرايـة البيضـاء .. واستسـلمتُ لأمـره... ولا غالـب إلا اللـه..

إن شئت سَمِّهِ ..

سلطانُ المَجالسِ ...

أو أنيسُ المُجالسِ..

أو رحيق الحياة..

أو ما شئت ..

ولو بذخت في تسميته .. فلن تتجاوز «الشاي».

ذلكـم الاسـم الـذي يجعلك تشـي بما فـي ضميرك، ويشـي بمـا فـي قلبك مـن حُـبٍّ لمحبوبـك..، ويشـي بالفكرة

لتعانـق الفكـرة ... ويوَشّـي حياتك بِوَشـي التفـاؤل .. وحلل الأمان النفسـي.. والصفـاء الروحي..

وصدق الصافي أحمد .. في قوله:

إذا ســـــاق هَمُّ الدهر نحويَ جيشَهُ

أُلاقيهِ من أقداحِ شـــــايٍ بعسكرِ

فَمُذّ احتسي كأســـــاً وأرشف ثانياً
يَفّرُّ الأســـــى عني بجيشٍ مُبَعثرِ

ولله أبوه يوم يقول:

كأن كؤوس الشاي بضعُ نواسكٍ
تحيط بمعبودٍ مـــــن التبرِ أصفرِ

كأنَّ به نـــــار الغـــــرام تمثلت
لدى العين يخشى قُربها كل مُبصرِ

وإن بلغت نـــــار الهوى فيه حدها
بكى لوعةً من دمعـــــهِ المتحدرِ

كأني إذا ما أســـــفرَ الصبح ميتٌ
وإن أرتشف كأساً من الشاي أُحشرِ

الشاي بالنسبة لي يا سادة وبكل اختصار..

مفتاح لأغلى ما أملكهُ بعد إيماني بالله جل وعز..

مفتـاح لتعديل المزاج، وإذا حصل ذلكـمُ الهدف .. صَلُحَتْ الحياة لي

وباشـرت أعمالـي، وحَسُـنَ يومـي.. وغـذذت ركبائـي نحو أهدافـي.. وأشـرقت بالآمـال آلامي..

فمـن عـرف مداخـل نفسـه.. لزمـه أن يباشـرها بمـا يعينهـا

للوصـل بهـا إلـى سـقف الفـلاح والنجـاح..

ولو كان رجلاً، لكان عالماً عاقلاً، أديباً أريباً...

طالعـتُ سِـيرَ العظمـاء، والعلمـاء والقـادة.. فوجـدت لهـم معـه مواعيـد لا يخلفونهـا..

عمومـاً.. تأكـدوا يا سـادة أن كل مقـال يقف خلفـهُ كأسٌ من كؤوس الشـاي..

وكل كتاب يقف فيلق يرفعون رايات الشاي.

فهو رحيق العمر، ومداد الذهن قبل القلم..

وسـلام عليكـم بِعـدِّ أوراقـهِ .. وجمـالِ أحداقـهِ... وحسـنِ أخلاقـهِ...

يقول جون لوك:

«ثـلاث وسـائل للتهذيـب تبتـدئ الواحـدة حيـث تنتهـي الأخـرى:

الأولى: قراءة الكتب وإدراك معانيها؛

والثانيـة: التفكيـر والتأمـل الشـخصي فـي تلـك الأفـكار والمعانـي؛

والثالثـة: محادثـة الغيـر بهـا واختيارسـقيمها مـن صحيحها، وسـليمها من فسـادها».

قلـت: واللـه يـا جـون لـوك، لـو ذقـتَ، ما ذقـتُ من الشـاي المعتـق بالزعفـران لجعلـت الشـاي مـن أهـم وسـائل تهذيـب الـروح، والفكـر..

قلمي

ما أروعه.. وأعجبه.. وما ألصقه بقلبي.. وأقربه..

كثيرًا ما أتفقَّده في يومي وليلتي.. آليتُ على نفسي ألَّا أُعْمِلَهُ إلَّا في خير، وأرجو ذلك منها... موضعُه في اليمين..، وينبض برجع ما في الوتين.. سلَّطتُ فكري عليه.. .. فراح يكدهُ كدًّا.. وهو لخواطري يعدُّها عدًّا..

إنه قلمي..

طالما احتفظتُ ببعض أقلام كتبتُ بها مقالات، أو رسائل، أو مؤلفات، حتى إذا مَرَّ الزمانُ رأيت أن سياسة التجميع للأقلام، سياسةٌ بائسة، إذ إنها تُشغل البال، وتملأ أدراج مكتبي..

ومن ثَمَّ فإني لا أجمع بها فكري، فالقلم كاتبٌ لما يُملى عليه...، ناقلٌ لما في خواطري على الورق، فعزمتُ على التخلص منها إلا ما كان لهُ ذكرى حسنة... ثم بعد ذلك تخلَّصتُ من الجميع.. وبقي ما يُملي خاطري ، وما تُنضد بنات أفكاري من ألفاظ ومعانٍ، هي ربة قلمي، وسيدته... وناهيتُه وآمرته... به أُعَبِّرُ عن مشاعري، وأنشر ما في خواطري.. صديقي عند الوحشة، ومؤنسي عند اللوعة.. أنفث ما في صدري على الورق بقلمي.. تنساقُ مشاعري، وتفيضُ أشجاني علي دفتري بدفقةٍ من قلمي.. به أشكو حَرَّ هاجرتي، ولأواء يومي، وأمل مستقبلي، يرتاح قلبي كلما امتشقته...

وتسكن نفسي كلما قربتُ حبره وأرقتُه، أكتبُ أحيانًا لأستريح من عالمٍ مزدحم بالمجاملات، والكذب والإشاعات...، فأعيش معهُ في عَالمٍ من الفضيلة عجيب... إنهُ قلمي.

أتركه حينًا يصول ويجول على صحائف الزمن، فيُقَيِّد فيها من الألفاظ كُلَّ كريم.

يندفع.. يندفع..، وكأنه طوفان نوح، فلا أستطيع لَهُ ردًّا، ولا لسيله سدًّا، فأطلقُه في وادي الدفاتر ... معبِّرًا بالخواطر عن أعذب المشاعر.

وينضب.. ينضب..، أحيانا، حتى لكأني أَنْحَتُ من صخر، فلا تخرج الكلمة والكلمتين، إلا بعملية (قيصرية) خطيرة..، فأضطر لتركه حينًا..

((وإني لتعروني لذكراه هَزَّته))..

وأخلد لغسيلِ ذهني..

أغسل فيه عقلي بالكتب، بحصيلة عقول الآخرين، حتي إذا عاد القلمُ الشارد على صاحبه، ورجع الجوادُ (لإصطبله)، أسرجتُه بسبابتي والإبهام، ثم أنطلق أخرى...

أحيانًا أكتب الشعر ولعًا فيه، ومحبةً له، والشعر من أشرف الكلام عند أهل الجاهلية والإسلام بعد كتاب ربنا جل وعز، وسنَّة نبينا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، فأجد القصيدة الموزونة المقفاة، والقصيدة الركيكة..، والخواطر المسجوعة، ومع هذا، فلا أمنع القلم من التقدم على صحائف

الورق...أرضى عنه أحيانًا،، وأحيانًا أغضب..، والرضى درجاته متفاوتة، والغضب كذلك..

ومع هذا فلا أَسلمُ من غمزٍ، أو همزٍ، أو لمزٍ..

يا كرام.. أنا مجرد إنسان أحمل عاطفة..

عُداتي لهم فضلٌ علـــيَّ ومِنَّةٌ
فلا أذهب الرحمنُ عني الأعاديا

هموا بحثوا عـــن زلَّتي فاجتنبتُها
وقد نافســـوني فارتقيتُ المعاليا

وصدق المتنبِّي إذ قال:

إنـــي وإن لمتُ حاســـديَّ فما
أنكـــر أنِّـــي عقوبـــة لهمُ

ولست والله لهذه الدرجة من الثقة بالذات،، ((ولكنها روحٌ تسيلُ فتقطرُ))..

وتأمل في حال الكائن الوادع الهادئ، إذا حوصر في زاوية، ولو كان ضعيفًا، فإنه يُخْرِجُ كلَّ طاقته، ويدفعُ كل حولِه وقوتِه للخروج من مأزقه..

فكيف بقلم بارٍّ بحامله..، ألا يدافع عن صاحبه، وهو في الصحبة عقودٌ..؟!!

بلا وربِّي..، ووالله لو كنت في مكان قلمي، وكان مكاني،

لدافعت وناضلت حتي يرى مني ما يحمدني عليه..، ولأرقت مهجة حبري ليرضي صاحبي.. ويرضى ربي..

إذا صح منك الـــــودُّ فالكلُّ هَيِّنٌ

وكل الذي فوق التـــــرابِ ترابُ

قلمي:

عهدٌ عليَّ أن أحملك.. وأكتب الحق ما استطعتُ بك..

قلمي: وإن كاد كائد.. أو حسد حاسد.. أنت نبض وريدي..

قلمي: يا كفًّا تمسح دمعي.. ويا راحةً تُربِّتُ على ظهري..

قلمي:

لا حرمني ربي من ريقك الطاهر، وعبيرك الشذيِّ . أَيْ قلم: أَجِدُني محرجًا من التعبير عَمَّا يجول في الخاطر...

أتركك على استحياء لتغفو إغفاءة الولهان ليلة وصاله، وتستريح استراحة المقاتل بعد نزاله جهلة الأقوام يظنون بك الظنون ..؟ وما علموا أنك لا تُسَطِّر إلا ما يعتقده صاحبك...

ظن ضعيف الفطنة، كثيرُ البطنة، أنك عن الطريق تحيد.. وما علموا أن الحياة مراحل، وأن العلم والمعرفة تراكمية، بنائية.. بعضها على بعض ..

وإن في ثبات بعضهم المزعوم على جهله .. حمق .. ويزود همه ... وفتور عزيمة ..

فسلام عليك يا سيف النزال ..

رائحة الورق لها موضع خاص في روحي، فكيف لو خلطتها رائحة الزعفران على الشاي... سبحان من خلق...

متعة: **متعة الحياة حينما تتعلم من هفواتك..**

التوصيل السريع: **الناجح فقط هو الذي يوصل ما يريد إلى من يريد بدون مشقة..**

حب: **بحر الحب لُجيٌّ.. لا يغوصه كل أحد.. فإن هممت بالغوص. فتدرع.. بدرع الصدق، واشدد يديك بحبال الخضوع، والزم عتبة العبودية. فهذا أعظم حب.. يا محب..**

وقود: **هذه الحياة محطات.. فتزود..**

قصة يتيم

يتيم خرج من أرض قومه... إلى نجد.. ثم انطلق إلى دول الخليج.. انتظم في السلك العسكري زمنًا.. ثم بلغه الخبر الذي غيَّر مجرى حياته ..

إنها ابنةُ العم .. جاء من يخطبها .. لِمَا كانت تتمتَّعُ به من خصال وخِلال بين بنات جنسها.. فأقدم بكلِ جدارةٍ من بين شُبَّان القرية الريفية الحالمة التي تسكنها.. وما كان من صاحبنا لما بلغه الخبر؛ إلا أن قدَّم ورقة الفصل من عمله.. وانطلق على أجنحةِ الحب والود والنجاء.. نحو فتاة أحلامه.. نعم.. دخل صاحبُنا القريةَ على حين غِرَّة من أهلها، وهي ترتدي حُلَّة المساء، السكون والسناء، والهدوء والهناء.. تحفُّ جبالها.. توقفت الأصوات، وهدأت القرية، ولم يبق إلا صوت خرير الماء.. يُشنِّفُ مسامعَ صاحبنا، والشوق يحفُّه، والظلام بدأ يلفه، وما إن أصبح حتى اغتدى إلى عمِّه، وطلب يد سيدة الحسن والدلال، والأدب والجمال، فقوبل بالترحيب، وهزَّته أريحيَّة العرب؛ فقبَّل رأسَ عمِّه.. شاكراً لأعظم معروف قدَّمه إليه.. وما هي إلا سَنة، وخَرجتُ من بينها إلى الدنيا.. أنا .. نعم .. أنا.. ((محمد)).

عشتُ عليل الجَسد في المهد.. حتى أشفق علىَّ القريب والبعيد.. وحتى ظن ظانٌّ توديعي للدنيا.. قبل مصافحتي لأزهارها.. وطربي بأطيارها.. وتلذذي بمفاتنها.. والحمد لله

على كل حال.. دفعتني الوالدة الرؤوم إلى والدها.. ((جدي))، وأخذ بيده حديدة... أوقد عليها النار... وبلا مقدمات.. أو كشف.. أو تشخيص للحالة، وضعها على مؤخرة رأسي.. لحظات، وخمدت الأنفاس.. وانقطع صوت ذلكم الصبي العليل.. ليلتفت لمن حوله.. وكأنه إيذان بحياة جديدة.. بالفعل نفع الله بهذه التجربة.. وانقشعت غمائمُ الخوف والإشفاق، وأمدَّ الله في عمر الغلام حتى كتب هذه الأسطر.. ثم بعد بلوغ الشهر السادس استقر في نجد هو وأسرته الصغيرة إلى الآن.. وعودًا على بدء، والعود أحمد.. أعود لسيرة ذلكم اليتيم.. أتعلمون مَن هو بعد هذه الأحداث.. أنه... ((والدى)) -حفظه الله ونفع به-.. عاش عصاميًا قويًا في زمن صعب.. وكان صدرًا رحبًا لكل أخٍ له.. فكان منزله أشبه شيء بمنازل الكُبراء من وجه فقط، وهو من وجه فتح أبوابه لكل أحبابه.. فكان بيته مفتوحًا، وصدره مفتوحًا..

عاش على هذا.. لا حرمني الله بره..

تعلَّمتُ منه الكثير.. تعلمتُ منه الكفاح بكل معانيه.. وتعلمت منة العصاميَّة في الحياة، وقد قرَّر مبدأ العصامية في الحياة ابن تيمية، فقال: ((استغن عمن شئت تكن نظيره، وأفضل على من شئت تكن أميره، واحتج من شئت تكن أسيره)) أ.هـ.

وتذكرت قول البارودي سامي:

إذا أنا لم أُعْطِ المكارمَ حقَّهَا
فلا عَزَّني خالٌ ولا ضمني أبُ

خلقتُ عَيوفـــــاً لا أرى لابن حُرَّةٍ
لديَّ يَدٌ أغضـــــي لها حينَ يغضبُ

أَســـــيرُ على نهجٍ يرى الناسُ غَيره
لكل امرئ فيمـــــا يحاولُ مذهبُ

وتعلَّمـتُ منـة سـعةَ الصـدر، وطـول النَفَـس.. وتعلَّمـتُ منه محبـةَ الإحسـان للآخريـن، ولـو تناسـوا ذلـك، وتحملـه النخوة.. إلـى محامـل.. وهـذا كلَّفـه فـي حياتـه الكثيـر، غيـر أنـه لا يرتـاح ولا يطمئـن حتـى يبـذل إحسـانه لغيـره.. وإنـي لأرجـو أن ألتـزم الإنصـاف، وأنا أرقـم هذه الأحرف، غيـر أن عاطفة البنـوة تأبى إلا أن تُجَـلّ صفـة الأبوة..

أبي لا يذقني اللـــــه فقدانَ مثله
وأين له مثلٌ وأيـــــن المقاربُ

وعلـى الحقيقـة، فلقـد تعلمـتُ منـه الحيـاة كلهـا.. بحلوهـا ومرهـا.. ومـا انتفعـتُ بأحـدٍ كانتفاعـي بمـا رأيـت منـه، وإن كان الكمـال للـه.. غيـر أنـي أرى فيـه معانـى لا يراهـا غيـرى.. وكانت أوضـح البصمـات فـي حياتـي بصمتـه؛ إذ الابـن صنو أبيـه.. ولقد رأيتنـي أحاكـي أفعالـه فـي الصبـا، حتـى صـارت لي خصـال، ولا أزعـم أننـي أصـل إلـى مـا وصـل، ولكن كمـا قـال الأول:

نبنـــــي كما كانـــــت أوائلُنا تبني
ونفعـــــل مثلمـــــا فعلـــــوا

وهـو مـع ذا مرهـف الحـس.. تؤثـر فيـه الكلمـة.. ويهـزه بيـتُ القصيـد.. وإنـي لأجد ذلـك في حياتـي عيانًـا... فـإن البيت مـن القصيـد العـذب.. يشـجيني.. بـل يسـحرني، وإن الكلمـة الصادقـة تَهُـزُّ وجدانـي... فـلا أشـعر إلا بشـواظٍ مـن نـار المعاني يَهـزُّ المبانـي.. لا حرمنـي ربـي مـن بِـرِّكَ.. ولقـد تعلمـت الكثيـر والكثيـر..

- فهو أبو العصامية إن كان لها أبٌ..
- وهو صاحب التضحية والبذل في سبيل جمع الكلمة، ووحدة الصف في الأسرة..
- وهو من أكثر من رأيت موافقًا قوله فعله..
- وهو من أحزم الناس في الأخطاء والزلَّات..
- وهو صاحب علاج عملي مباشر ناجع للخطأ، يحتمه الظرف، ويتطلبه الموقف.
- وهو صاحب صدر رحب بالمحتاجين، فتجدهم يحفون به، والكريم من الرجال من طمع به الناس، وطلبوا النوال ..
- وهو الذي يعطي، ولو كان محتاجًا..
- وهو الكتومُ لمعروفه وإحسانه، فلا يكاد أحد يعرف ذلك إلا ما ندر.. وغيرها وغيرها كثير.. لا حرمني الله بِرَّه..

الحسناء

سبق وأن ذكرت مغامرة ذلكم اليتيم، وتركه لوظيفته من أجل تلكمُ الحسناء.. فهل تريدون أن نُبحر في شيء من معاني حُسنها..

أحسبكم تريدون ذلك..

هي تلكم الراعية الريفية الجميلة التي كانت ضفائر شعرها هي الرمز والدلالة عليها، إذ أنها كانت تتمتَّعُ بأجمل شعر بين قريناتها من بنات القرية..

تربَّت في بيت عِزٍّ وأدب، وتَخلَّقت بأخلاق الكبار في صغرها، فكانت شامة في وجه الزمن.. ودرة في عقد الجمال... وكلمة على لسان أهل الثناء..

لها صبرٌ أعتقد أن مسمَّى الصبر يعجز عنه، ولها طول نفس أحسب أنه ينقطع معه كلُ نفس...

دَرَجت في بيت كريم، والدها من أعظم الناس توكلًا، فهو من أهل البساتين والزرع، وهم كما جاء في الأخبار من أهل التوكل..

عَسَفَها على معاني مشرقة، وربَّاها على معالي مورقة..

فكان من هذا الخليط تلكم الـ ((حسناء))..

بلغت مبلغ النساء..، وتقدم لها شبان القرية، الكل يرجو

مـن هـذه الحَصَان الـرزان أن توافق عليـه زوجًا لهـا، ليحظى بخير الدنيـا، بـل بجنـة الدنيـا، ولقـد جـاء في دعـاء الصالحيـن: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾.

قـال بعـضُ أهل العلـم: وحسـنة الدنيـا: الزوجـة الصالحة،، وحسـنة الآخـرة: الجنـة.. فلـك أن تتصـور.. والمقصـود أن والـد هـذه الحسـناء لم يقـدم أحدًا علـى من ظن بـه وأحبـه، وكان مزعةً منـه.. فأبرق لـه.. برقية

أن فلانـة ((الحسـناء)) خُطبـت، وأنـي أنظر في شـأنك، فإن شـئت زوجتكهـا؛ وإلا قبلنـا مـن خطـب.. فقـدَّم فـارس الأحـلام الجـواب عمليًّـا، لسـان حالـه: الجـواب مـا تـرى لا ما تسـمع..

وقـدَّم فصلـه مـن وظيفتـه.. يـوم أن كانـت الوظيفـةُ تعنـي الشـيء الكثيـر للناس، ودلـف إلى قريته يحدوه الشـوق، ويسـابقه الأمـل، وطلب يـد الحسـناء، وقبلت، وبقـى معها ما يقارب السـنة فـي ريـاض الريف، ثـم كُنْـتُ يوم كانـوا..!!

ودلـف إلـى نجـد يبتغـي الـرزق، واسـتقر مـن أول تكويـن هـذه اللبنـة.. بعـد أن أصبـح عمُـر ((محمد)) سـتة أشـهر.. نعم.. سـتة أشـهر فحسـب. فهل عرفتم مـن هي هـذه الحسـناء... ((إنها أمـي)).. أم محمـد فرحمهـا اللـه كمـا ربتَّـني صغيـرًا.. ومتعنـي ببرهـا كبيراً

ولقد تعلمت في حياتي منها دروسًا كثيرة.. منها:

- الصبر على مشاق الحياة.
- حُسن العشرة مع الناس .

- سعة الصدر في المواقف.
- السرية والكتمان للأسرار.
- الرأي السديد في بعض مناحي حياتي.
- الأمل في حياتها كبير، جدُّ كبير.. حتى تعلمناه منها.
- التحفيز الإيجابي للجميع.
- الصدق في الحديث، وعدم الاكتراث منه مهما كانت النتيجة، ومع مَن كان.
- التضحية، والبذل.
- التعامل بالإحسان مع من أساء لها .

ولقد رأيتُها تحسن لنساء ليسوا أهلًا لإحسانها، فعجبت، وسألتُها؛ فقالت: ((كلٌّ له عمله)) .. أعطيهم الذي عندي، ويعطوني الذي عندهم.

- الحزم في التربية، وإن تطلَّب ذلك التأديب.
- الخوف على الجميع، وحَمْلُ هَمِّ الجميع.

لا حرمني الله مِن برِّها.

لا للكلفة: جميلة هي الحياة بلا كلفة ولا تكلف.

دنياي

حظي من هذه الدنيا.. سَكَنٌ كلما تاقت نفسي للسكن..

الأمن، كلما أَحَسَّتْ نفسي بالوَحشة..

أريجُها في سماء حبي فوَّاح.. وبلبل حبّها في بساتين قلبي صدَّاح.. روعة العذوبة، وعذوبة الروعة.. روحٌ كأنما سكبت في بلَّورة ألطف من اللطف.. وأذكى من النرجس والياسمين.. وأجمل من الأقحوان.. صانعة الحب.. والمالكة للقلب.. هو الحب الذي يشرق به القلب.. صانت العشرة، ورعت الذمام، ووقفت خلف زوج يطمح في النجاح والتميز؛ لتثبت أن وراء كل رجل عظيم امرأة.

لها في دفتر الحب ألف صفحة، ولي في مكافأتها أسطر معدودة.. وليس هذا وربِّي جحود، غير أن الرجل عُشْرُه عاطفة، وتسعة أعشاره عقل، والمرأة تسعة أعشارها عاطفة وعشرها عقل.. والمراد أني انتفعت منها بأشياء:

- طول النفس.
- الحب الصادق.
- هضم النفس.
- الفرح بنجاح الجميع.
- صناعة الثقة في الجميع.

- الصدر الرحب لهمومي وآلامي.
- المستشار المؤتمن.
- الوفاء الخالص، وهو ثمرة من ثمار الحب.
- الصف الخلفي مهم جدًّا لنجاح الصف الأمامي، وهذا مِفْصل .
- الحياة بلا تضحية.. ليس لها طعم.
- العتاب صابون القلوب.
- الخلافُ بُهار الحياة الزوجية.
- العقلانية في كثير من أمورها.
- إن قيل :إن في الزهر ملكة الليل، فهذه وربي ملكة الليل والنهار.
- المرأة الحسناء في المنبت الحسن، قرة عين لمن فطن .
- التعب في الاختيار، يورث المتعة في باق العمر.
- من تعب وهو صغير ارتاح وهو كبير.
- جمال الروح شعارها.
- شكراً صانعة الشاي اللذيذ..

لا: **لا لليأس والركود في الحياة، ولكن عمل وجهاد ونية.**

قال لي

قال لي محب:

لـم تُكَثِّـف الحديـث عـن الجوانـب الفلسـفية الإنسـانية الصِّرفـة، وتنفِـرُ عن الحديث عـن الـ«أنا» بقصة واقعيـة من حياتك ..

فقلت:

يـا محـب .. أخـذت مـن البسـتان زهرتـهُ، ومـن الحديقـة إكليلهـا .. وتركـت الخـوض فـي جزئيات قـد لا ينتفع بهـا القارئ ..

وحسـبك بالإشـارة مُغْنِيَةً عن العبـارة .. وفي الموجـود غُنْيَةٌ ومقصود ..

ولعل لي عذرٌ وأنت تلومُ ..

يقول ليف: أولمن في مذكراته:

«تدغدغنـي رغبـةٌ فـي التنميـق فـي أن أُظهرَ نفسـي ومحيطي بمظهـرٍ جميـلٍ اكتسـابا لعطـف القـارئ؛ أو فـي تشـويه الأشـياء لأجعلهـا أكثـر إثـارة..، كأنـي لـم أقتنع بـأن الواقـع بحد ذاتـه مثير للاهتمـام».

قلتُ: وأنا كذلك يا ليف..

أزمة أخلاق

هل نحن يا سادة في أزمة أخلاق... أم لا؟!!

أقول وبصراحة: نحن في أزمة أخلاقية سلوكية ناتجة عن عدة قضايا، والسلوك في نظري هو معيار تطبيق العقائد؛ لأن السلوك السليم هو الإيمان العملي والقلبي، فالإيمان لا ينفك عن هذه الثلاثية: القول والعمل والاعتقاد، ومرادي مما سبق: أن الأمة تملك من المبادئ أخلدها، ومن التواريخ أمجدها، ومن الهمم أبعدها.. غير أن الفصام النكد بين العلم والعمل هو ركيزة من ركائز ضعفها الحالي، والسر في ذلك هو أزمة الأخلاق التي نعيشها..

حاجتنا للأخلاق:

١- لما كانت المجانسة تُقضى بالاحتكاك والاختلاط، كان لزامًا أن يكون هناك قانونًا للتعامل بينهم هو الأخلاق.

٢- لما كانت النفسيات تختلف في قبول وجهات النظر، والتعامل من زوايا عدة، كان لزامًا أن يكون هناك دستورًا يرضى عنه الجميع، وتعلق فيه آمالهم، وتسموا إليه أعمالهم، إنه دستور الأخلاق

٣- لما كانت العقول تتباين، والقرائح تختلف، كان لزامًا أن يكون قانون الدستور الأخلاقي مستمدًا من مواد ملزمة للجميع، جامعة للناس على خطى التقريب بين العواطف والأبدان.

٤- ثم إن المصدر الرباني الجامع لقلوب الناس المرضي والملزم هو الكتاب والسنة، وإن خصائص هذا المصدر: الثبات والاستمرار، والصلاح لكل زمان ومكان.

٥- ثم إن استحضار النية مؤذن بقبول العمل، والتوفيق لحسن القصد، وإنما يحفظ العبد على قدر نيَّته.

٦- صلاحية هذه المصادر للتطبيق على أرض الواقع، ولنا في رسولنا -صلى الله عليه وسلم- أعظم أُسْوَة.

٧- إن الأخلاق بالتخلُّق، بمعنى أنه بإمكان أحدنا أن يؤدِّب نفسه، وأن يُربِّي فيها السلوك المراد.

٨- ثم إنها تنتقل بعدوى القدوة، فإن القدوة تحيطه الأنظار.

٩- الأخلاق مفتاح للانفتاح على الآخرين، وتسويق الأفكار، وإقناعهم بما تريد.

١٠- ثم إن الحياة عند المؤمن ليست نزعة أخلاق فقط، وإنما هي قول واعتقاد وعمل، فهي جزء يسير من حياة المؤمن، لكنها عنوانه، وطرة كتابة...، ولذا لزم التلازم بينها وبين أصول الاعتقاد والاتباع.

• الإنسان الحُرّ هو من يَصنع لا يُصنع، ويبني لا يُبنى، ويؤثر لا يتأثر في هذا الكون الفسيح.

• أعداء الإسلام اتفقوا على آلة قتلهِ، وتفتيت وحدته، وتمزيق شمله، وهي هدم الدين، وتذويب أوامر رب العالمين..

ونحن اختلفنا في آلة الدفاع، فبين مؤيِّد ومعارض..

فليت شعرى هل من مجدد... ؟!

وحيد: **لستَ وحدك في هذا الكون؛ فإياك واليأس..**

لذة: **اللذة الحقيقية كامنة في تمام الرضا عن الذات، وتحقيق المرادات، وحسن العلاقات..**

لحظة

اللـه كـم فـي هـذه اللحظـة مـن عَبْـرَة وعبـرة، ومـا الحيـاة -وهـي مجموعـة لحظات- إلا محطة ذكريـات، ودروس تربويات لمـن ألقـى السـمع وهو شـهيد.

فلحظـة ألم.. ولحظة أمـل.. ولحظة حب.. وأخـرى وَجَلْ.. عسـاها أن تصـل كل محب.. بخواطر إنسـان.. عـاش اللحظة بكل مـا تعني مـن معنى..

وما العيش إلا ســـــاعة بعد ساعة

وما الحـــــب إلا لحظة عند واقف

الله:

اللــه أرأف بــك منــك.. وأحنــى عليــك.. منــك.. فكــن قريبًــا منــه..

رائحة الآباط تزكمني

شـريف الـروح تتأبـى روحـه التبعيـة .. فـلا يحـب أن يضـع رأسـه فـي إبـط أحـدٍ مـن الخلـق، كائنًـا مـن كان .. وَهٰـذَا يغضب كثيـرًا مـن المتنفذيـن ..

قابلني مسكين وَقَالَ لي:

كن معنا .. وسأذكرك عند فلان بن فلان ..

قلت له: ولِمَهْ ..

قَالَ: سـنخدمك، ونرفع ذكـرك عنده .. لتحـوز على مكانتك التي تليـق بك ..

قلت له: عافاك الله .. رائحة الآباط تزكمني ..

ومن لم يرفعه الله، فلن يرفعه أحد ..

أربـع علـي نفسـك يـا مسـكين .. وتذكـر أن الذي تسـعى في رضـاه عَبْدٌ مـن عبـاد الله... فـأرضِ اللـه وكفى.

ببساطة: **لغـة البسـاطة فـي الحيـاة.. لغـة مفقـودة فـي حيـاة البؤسـاء..**

فواتير يومية

مـن عيوبي أنـي كثير إحسـان الظـن بالآخريـن... مما أفسـد علـيَّ كثيـرًا مـن حياتـي، بـل أصبحـت جُـلُّ مواقفـي دفعًـا لفواتير مُحَمَّلَـة بالضرائب.

والعجيـب أن إحسـان الظـن مطلـب فـي الحيـاة الإنسـانية، غيـر أن مـن يحيطون بـك يحملونـك على ذلـك.. أحيانًـا.. وأنت لا ترغـب إلا في حسـن الظن، وهـم يجبرونك على (فطنـة العَوَامّ) التـي عَرَّفَها الشـاعر بقوله:

«إن سوء الظن من إحدى الفطن»..

نعـم أنـا حَـذِرٌ، لكـن ليـس لدرجة سـوء الظـن، غيـر أن هذا الحـذر لا ينجـي مـن قدر..

ومـرادي أن حسـن ظنـي المفـرط بالآخريـن حَمَّلنـي مـا لا يسـتطيع حملـه جبـل أُحـد..

مـن حسـاب الحسـابات، والاحتشـام ممـن قـد لا يُحتشـم منه...

وقُتِلَـتْ حريَّتـي التـي أتلـذَّذ بهـا، وهـي العفويَّـة المنضبطـة التـي أحـب أن أديـر بهـا حياتـي الخاصـة والعامـة.. نعـم قُتلت أو كادت تُقتـل مـن روتيـن سـوء الظـن البـارد، ومـن تحاشـي مـا لا يُتحاشـى، وهَلُـمَّ جـرًّا، فكـم مـن التوتـر والقلـق يجرُّه سـوء الظن علـى صاحبه..

فليت شعري هذه الدنيا لمن؟!!

ورحم الله من أوصاني فَقَالَ لي على عجل:

يـا مُحمد كُنْ كما أنت لتتصالح مع نفسـك وتشـعر بالسـكينة الروحية[1]...

عاطفة: أجدنـي مضطـرًا للتجـارب مـع العواطـف.. حتـى إذا اصطدمـت بحائـط العقـل تركـت التجـارب..

(١) هذه وصية معالي شيخنا الزاهد العابد: صالح بن عبدالرحمن الحصينّ -رحمه الله رحمة واسعة-، ألقاها في أذني لّما طلبت منه أن يعطيني أجمل شيء خرج به من التجارب.

موقفي من الناس

الأستاذ : عباس محمود العقَّاد.

((علمتني الحياة خُطَّتين في سياستي مع الناس.. خطة أتَّبعها فيما يصيبني من الناس، وخطة أتبعها فيما يصيب الناس مني، فاسترحت كثيرًا من تبديد شعوري في غير طائل، وعرفت كيف يكون الاقتصاد في إنفاق ثروة الحياة.

أما خُطَّتي فيما يصيبني من الناس، فهي أن أتناول طباعهم وأخلاقهم جملة واحدة.. ولا أفرق بينهم على حسب اختلاف الأشخاص والأفراد. كان الخلق الواحد في مبدأ الأمر يسبب لي الألم و خيبة الرجاء عشرات المرات، بل مئات المرات.. وكنت في كلِّ مرَّة أشعر بصدمة المفاجأة، كأنني اكتشفتُ شيئًا جديدًا لم أتوقعه من قبل. ثم تعوَّدتُ مع الزمن أن أجعل للناس جميعًا حسابًا واحدًا في رصيد المكسب والخسارة، فهبطت الخسارة كثيرًا على الأقل..

وهذا في ذاته مكسب معدود.

تعوَّدت أن أجمع الأخلاق إلى أنواعها، وأن أضع كل نوع منها تحت عنوانه، في الناس أنانية.. في الناس صغار.. في الناس سخافة.. في الناس نقائص وغرائب.. وهكذا، وهكذا.. إلى آخر هذه المألوفات التي توارثناها نحن أبناء آدم وحواء، فليس فيها من جديد .

فـإذا أصابنـي من الناس شـيء مكـدر رجعت به إلـى عنوانه، فوجدته مسـجلا هناك، ولـم يفاجئني بمـا لا أنتظر.

في الناس أنانيةٌ.. في الناس صَغَارٌ.. نعم.. نعم..

ومـاذا فـي ذلـك؟ ألم تعلـم هذا مـن قبـل ؟ بلى، علمتـه مرة بعـد مرة.. فمـا وجه الاسـتغراب، ولمـاذا الألم والشـكوى؟!.

وراقبـتُ نفسـي طويـلا، فوضعـتُ نفسـي فـي القائمـة.. وتعـوَّدت أن أقـول لهـا لمـا أصابهـا مـا يكدرهـا: وأنـت أيضًـا كذلـك، فـلا محـل للحسـاب والعتـاب.

أمـا خطتـي فيمـا يصيـب النـاس منى، فهي: أن أسـأل نفسـي كلمـا شـعرت بسـخطهم أو انتقادهـم، ((هـل الأمـر يعنينـي ؟)) وبعبـارة أخـرى: ((هـل يضيرنـي أن أفقـد رضاهـم؟ وهـل يعيبني أن أفقـده؟)).

فـإذا كان فـي الأمـر مـا يضيـر أو مـا يعيـب، فالأمـر يعنيني، ولابـد مـن معالجتـه بمـا أسـتطيع، وإلا؛ فـلا وجـه للتعـب والاكتـراث، وعوَّلـتُ دائمـا علـى المقيـاس العلمـي؛ لأن الجريَ وراء النظريـات لا ينتهـي إلـى غايـة.. فكنـت أضـع أمامـي علـى الـدوام خمسـة أو سـتة مـن الذيـن أعرفهـم، وأعـرف أنهـم مـن أصحـاب الحظوة عند النـاس، وأن الناس لا يسـخطون عليهم ولا ينتقدونهـم، فأتسـاءل: ((هـل يسـرك أن تكون مثلهـم، وأن تحصل علـى الرضـا كمـا حصلـوا عليـه؟)).

وكأن جـواب هـذا التسـاؤل نافعًا لي على الـدوام؛ لأنه يحدد لـي العمـل الـلازم، أو يعفينـي مـن كل عمـل، ويبين لي فـي معظم

الأحـوال أن ثـروة الرضـا والثنـاء عملـة زائفـة، أو عملـة صحيحة علـى أحسـن الوجوه. ولكـن الاسـتغناء عنها غير عسـير.

ومـن التجـارب الكثيرة فـي الأشـخاص الذيـن عرفتهم حق معرفـة، تبيـن لـي أنهـم يحتالـون، ويتعبـون عقولهـم وضمائرهـم فـي الاحتيـال طلبًا للشـهرة التـي لا تهمهـم لذاتها، ولكنهـا تهمهم لغايـة يصلـون إليها مـن ورائها. وحمـدت الله؛ لأن تلـك الغاية لا تهمنـي أنـا، ولا تسـتحق عنـدي أن أبـذل فيهـا أقـل تعـب حتى لو اسـتطعته كل لحظـة، وكنـت كمن يتمنَّـى نصيبًا من المال ليشـتري بـه شـيئًا، ثـم علـم أن الشـيء لا يسـتحق الشـراء، فاسـتغنى عـن المـال، واسـتغنى عـن تمنيه.

خطتـان سـهلتان: خطة مـع الناس، وهـي أن أجمعهـم جملة واحـدة.. وخطـة مـع نفسـي، وهـي أن تَقصُـر جهودهـا وهمومهـا علـى مـا يعنيهـا. فمـن اسـتطاع أن يتعلمهـا فليتعلمهـا.. إن كانـت تعنيه!!..)).

لغة: **لغة العيون أفتك بالقلوب..**

رباط: **الأنـــا.. ربـــاط الخيـــول.. والناجحيـــن.. تعيقهـــم.**

لحظة حُبٍّ

كلما تأخرت عنها ذاب قلبي وجدًا عليها..

أشجاني ملكها، وآهاتي ريحها..

آه.. كم حملت عني همًّا.. وكم شاركتني في حَزَني، هي لي كالدواء على الداء، والبلسم على الشفاء، فهي تأخذني بمجامع لُبِّي وقلبي، فلا أتمالك إلا أن أريق حبر الحب على قرطاس الوداد.. سلاحها بين يديَّ أنا.. وحبها ملأ خافقي ضنًّا..

إنها الكتابة.. فلا تلومني في حبها..

بأدنى صدودٍ منكِ تذوي القرائحُ
وتسمو إذا جئتي إليَّ المدائحُ

فكيف وقد أُعِدَّ كأس الشاي، وفاح عرفُ الزعفران منه...

الأنا: مرض خطير على القلوب.. ولغة قلب مريض بحب الذات.. قتلت فيه كل أصناف العاطفة، والطموح..

أَمْثَلُ عقوبة

رأيت أن أمثل عقوبة تؤدب بها من أساء إليك ... هي الإحسان إليه .. والترفع عن مجالسته .. إلا للحاجة .. كحاجة الطعام للملح ..

فإن كريم النفس لا تقدر نفسه على الانتقام .. فضلًا عن التشفي .. حتى ولو قَالَ قائلهم:

طبق الانتقام يؤكل باردًا ...

قلنا: النفوس الشريفة .. والعقول الكبيرة تتأبى هٰذِه المعادلة ..، ولا تقبل أصلًا بهذه المحاولة ..

حصافة: **الحصيف هو الذي يُقَسِّمُ اهتماماته على الدارين..، كُلَّ دارٍ بما تستحقه.**

ما بين وبين

رأيت أن قليل العلم.. أو العقل.. أو الفهم .. هو أول مَن أسرع إلى ردّ الجواب، وأن الحكيم الرزين.. صاحب العقل السليم.. القريب إلى الكمال هو آخر الناس نطقًا، وأحسنهم قولًا وفعلًا. ولذلك تجد الأول من أكثر الناس جنياً للمشاكل والمصائب، بينما الثاني من أثبت الناس قلبًا..

احفظ لسانكَ لا تقول فتبتلى
إن البلاءَ مُوَكَّلٌ بالمنطق

وكذلك المهذار:

قليل الهيبة في قلوب الناس.. ساقط من عيونهم..، مُخَيِّبٌ لظنونهم الحسنة فيه..

أما الوقور:

قليل الكلام، فلا تجده إلا عظيمًا في قلوب الآخرين، وقورًا محبوبًا في أعين الوامقين.

إذا قال صَدَقَ وصُدِّقْ، وإن صمت كان جبلًا من الوقار..

وأثبت الناس قولًا، وأصدقهم قليل الكلام .. وأكثرهم كذبًا وأحراهم به كثير الكلام.. فمن كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه، كذب.. فأمسك عليك لسانك ..

قَالَ بعضهم: الثقة بالنفس لا تعني التهور والاندفاع الأحمق.. وإنما تعني اعتقاد الشخص بقدرته على القيام بأمور لا يستطيع القيام بها كل أو معظم أقرانه... -إلى أن يقول:- لكن مع هذا، فإن علينا أن نقول: أن الهامش الذي يفصل بين الثقة بالنفس، وبين التهور هو هامش ضيق، ولذا، فقد يتجاوزه المرء وهو لا يدري أ.هـ.

وصدق وربي، فإن النفوس الكبيرة كثيرة الهيبة، قليلة الريبة، عظيمة المقاصد، حسنة التعامل.. بعيدة النظر.. مراعية للعواقب...

حاجة: ما أحوج أُمَمَ الشرق في هذه الأزمان إلى العدالة الاجتماعية، لتعمر خراب الهوى وحفظ النفس..

كتوم

من عيوبي أني كتوم...

فقد أحمل حملًا ينوء به أحد وثهلان، أو شثاث، وأنا مع هذا بَسَّام في وجوه الناس، وهذا وإن كان إيجابيًّا عند بعضهم إلا أنه تَنوُّر حارق يحرق داخلك بمرضى الضغط والسكري..

ومن عيوبي أيضًا إنني حساس..

والحساس قد تؤذيه نسمة، أو همسة، أو عبرة، أو عبارة، أو موقف، أو إشارة.

وتجدني أسأل نفسي عن هذا، ويؤثر فيَّ ما لا يؤثر في ما سواه. ووجعه على نفسيتي، إما بالضيق أو بالتفكير العميق في ذلك الموقف. وهو مع بساطته، قد لا يشكل لبعضهم أي شيء.. إلا أنه مجرد موقف عابر..

غير أنه قَلَب موازيني، وغَيَّر شيئًا كثيرًا في نفسيتي، مما جعلني أجعل اعتبارات كثيرة لأشياء قد لا يكون لها أصل في عالم من حولي.. فليت شعري هذه الدنيا لمن؟!

أكثر الناس يعيشون في الناس أكثر مما يعيشون في نفوس أنفسهم، أي أنهم لا يتحركون ولا يسكنون، ولا يأخذون ولا يدعون، إلا لأن الناس هكذا يريدون.

ومما عزاني به بعضهم قوله:

يـا محمـد .. تذكـر أن معظـم المتميزين حساسـون جـدًّا، بل ويتأثـرون مـن أي شـيء، وإن كابروا!!

تذكـر أن الأشـياء الجميلة دائمًا حساسـة .. وكذلك الأشـياء الثمينة..

الشـعراء.. العلمـاء.. الـورود.. المجوهـرات.. ثمينـة وحساسـة.. وحدهـا الأحجار والأخشـاب وذوات الأربـع وفئات من بني البشـر بينها وبين الحساسـية الجميلة مسـافة قصرٍ وجمع..

العقل: **العقـل السـليم هـو الـذي يسـتفيد مـن عِبَـر التاريـخ، وللإنسـانية تأريـخ عريـق.. إيجابًـا وسـلبًا..**

الحياة الذاتية

الأستاذ: مصطفى لطفي المنفلوطي.

((حياة الإنسان في هذا العالم حياة ضمنية، مدخَّلة في حياة الآخرين، فلو فتش عنها لا يجد لها أثرًا إلا في عيون الناظرين، وآذان السامعين، وأفواه المتكلمين.

يخيل إلي أن الإنسان لو علم أنه سيصبح في يوم من أيام حياته وحيدًا في هذا العالم لا يجد بجانبه أذنًا تسمع صوته، ولا عينًا تنظر شكله، ولا لسانًا يردد ذكره؛ لآثر الموت على الحياة، علَّه يجد في عالم غير هذا العالم -من آذان الملائكة أو عيون الجنة- مقاعد يقعدها، فيطيب له العيشُ فيها.

إذا كانت حياة كل إنسان متلاشية في حياة الآخرين، فأي مانع يمنعني من القول بأن تلك الحياة التي نحسبها متكثرة متعددة، إنما هي حياة واحدة يتفق جوهرها، وتعدد صورها، كالبحر الملح نراه على البعد، فنحسبه طرائق قددًا، ونحسب كل موجة من أمواجه قسمًا من أقسامه، فإذا دنونا منه لا نرى غيره، ولا نجد لجزء من أجزائه حيزًا مستقلًا، ولا وصفًا ثابتًا .

لا يحيا في هذا العالم حياة حقيقية، إلا ذلك الشاذ الغريب في شؤونه وأطواره، وآرائه وأعماله، الذي كثيرًا ما نسميه مجنونًا، فإن رضينا عنه بعض الرضا سميناه: فيلسوفًا، ونريد بذلك أنه نصف مجنون، فهو الذي يتولى شأن الإنسان،

وتغييـر نظاماتـه وقوانينـه، وينتقـل بـه مـن حال إلـى حال بمـا يغير مـن عاداتـه، ويحـوِّل مـن أفـكاره..

أيـة قيمـة لحيـاة امـرئ، لا عمـل لـه فيهـا إلا معالجـة نفسـه علـى الرضـا بما يرضى بـه النـاس، فيأكل مـا لا يشـتهي، ويصرف نفسـه عما يشـتهي، ويسـهر حيث لا يسـتعذب طعام السـهر، وينام حيـث لا يطيـب لـه المنـام، ويلبس مـن اللبـاس ما يحـرج صدره، ويقصـم ظهـره، ويشـرب مـن الشـراب مـا يحـرق أمعـاءه، ويأكل أحشـاءه، ويَضحـك لمـا يُبكـي، ويَبكـي لمـا يُضحـك، ويبتسـم لعـدوه، ويقطـب فـي وجـه صديقـه، وينفق في دراسـة ما يسـمونه علـم السـلوك -أي علـم المداهنـة والملـق- زمنًـا، لـو أنفق عشـر معاشـره فـي دراسـة علم مـن العلـوم النابغـة؛ لـكان نابغتـه المبَّرز فيـه، حرصًـا علـى رضـاء النـاس، وازدلافا إلـى قلوبهـم. أ.هـ.

خطاب مفتوح: **إلـى كل فاعـل فـي الأمـة.. تربيـة العقـول، وصقـل المواهـب، وتبنـي الأفـكار، واحتواء المبدعيـن، مفتـاحٌ لنجـاح الـدول..**

أولويات: **مـن أولويـات الأعمـال الشـرعية: بنـاء المؤهليـن للتصـدر لهـا..**

الميزان

رأيتُ أن الضعف في ردود الفعل مع بعض الأفراد.. لا يولد إلا ضعفًا. وأن القسوة في ردود الفعل أيضًا.. لا تولد إلا جفاء.. وكل هذا خطأ، ومجانبة للصواب.

والحق هو الوسط، وقد جعل الله لكل شيء قدرًا.. أليس لكل حالة لبوسها.. إما نعيمها وإما بؤسها.. وكل موقف بحسبه.. لكن القوة في الأداء، والقوة في الطرح، والمعالجة، ومحاسبة النفس على ضبط الوقت سبيل إلى النجاح، وحسن الأداء..

إذن فلا بد من القوة في الحلول قوة متعلقة .. ليست قوة ثورية.. بل طرح جاد، وفعال ومؤثر.. بعيدًا عن التردد، والانفعالات الوقتية.. فإنك إن لم تلعب دور القوي المؤثر في هذه الحياة، فإنك ولا ريب سوف تلعب دور الضعيف المتأثر غالبًا، فهلا وعيتَ السر ورأيتَ الخبر..

فساد: **لم تصب الأمة بشيء في تأريخها إلا واصلهُ من فساد عقول بينها..**

معادلة: **من طلب كلَّ شيء.. خسر كلَّ شيء..**

لحظة سمو

سامي الأخلاق عملة نادرة في زمنٍ كثرت فيه الأوباش... فتجده برًّا رحيمًا ..على منهج:

وإن الذي بيني وبيـــــن بني أبي
وبين بني عمـــــي لمختلف جدًّا

سـامي الأخـلاق بـاذل لنفسـه، وجاهـه، مسـتقلٌ بذاتـه عمن سـواه... طريقـه ليسـت كالجـواد لا يباريـه فيهـا أحـد... وهـو من أخلاقـه في مـدد..

لا تنظرن لأثـــــوابٍ على رجلٍ
إن رمتَ تعرفه وانظر إلى الأدبِ

فالعود لو لم تفـــــح منه روائحُه
ما فرَّق الناسُ بين العود والحطب

حقيقة مرّة:

الصراحـة يـا بنـي قومـي.. إنَّ الأجيـال لـكلِّ الأمـم المزدهـرة تَجِـدُّ.. فتزدهـر، وتُورِثـهُ لبنيهـا.. ونحـن لا نـزال فـي هزلنـا، ولـن نُـوَرِّث إلا هـزلًا..

أساتذتي (١)

لا أنساه .. كان لا يكاد يغيب عن ذاكرة الطلاب .. بعصاه القصيرة .. الغليظة .. كغلظ انصياعنا له .. ولحفظ منهجه .. كان يدرسنا النصوص العربية .. فرضًا .. لا نفلًا ..

أجد له الآن في كل خَطَة قلم ذكرى، وفضل .. تعلقت بدواوين الشعر، وبكراريس النثر .. حتى علقت القصائد الحسان في الذاكرة..، وأحببت الرفيع من النثر .. فما عاد يستهويني أي متحدث، إلا من وفق لجودة الأسلوب والعرض ..

وكم كنت أخرج من أماكن يلحن فيها خطيبها لحنًا يعيبها دون تردد .. حتى أصبحت الذائقة لا تقبل العبث، ولا الهذر .. ومن صحح مدخلُه صحت مخارجه ...

استقامة: **نحن بحاجة إلى استقامة الضمير الإنساني.. أكثر من حاجتنا إلى استقامة الظاهر، والظاهر فقط..**

لا تنس

ومن عيوبي أيضًا: كثرة النسيان.. فأنا كثير النسيان..

وبلا مبالغة قد أبحث عن قلمي وهو في يدي، أو عن نظارتي وهي على عينّي، أو عن مفتاح سيارتي وهو في يدي.. فكيف بتذكر مواقفي الحياتية الكثيرة، الكثيرة.. وسبب كثرتها كثرة علاقاتي.

فالمربي في مدرسته يشاهد مئات الصور للوجوه المختلفة، بل مع الزمن يكون الرصيد بالآلاف..

والداعي إلى الله يقابل في المساجد والمجامع آلاف الصور والوجوه.. ومع الزمن قد يكون الرصيد بمئات الآلاف.

والرجل البَسّام يتعلق به كل من حوله.. حتى ولو لم يعرفوه، وكم جنت عليَّ هذه الابتسامة البريئة، وقد جمعت هذا كله.. والمراد..

هو كثرة النسيان..

ومع هذا فقد أصبحت أنسى كثيرًا من المواقف للناس معي سواءً أكانت إيجابية أم سلبية، وقد يكون هذا نعمة من وجه.. وبلاء من وجه آخر..

فإن بعض الخصوم من نفعه تأديبه.. فيفوت التأديب بالنسيان.. والثناء على الفضلاء حافزٌ لهم، وشكر له على فضلهم، والنسيان يحرمني من شيء كثير من ذلك ..

أما نسيان العداوات ونسيان الإساءات، ونسيان الجحود.. وسوء الأدب فهو نعمة مَنَّ الله بها عليَّ.. وفي هذا صيانة من الله لمزاجي من التفكير.

علمًا بأنني مزاجي الطبع أحيانًا كثيرة.. ولَعَلَّ كثرة الهموم ومصائب الدنيا أنسى بعضُها بعضًا.. فصار النسيان أقرب للعادة.. فليت شعري هذه الدنيا لمن؟!!!

رديئة: **الممارسات المحرَّمة التي حرَّمتها الشريعةُ في حقيقتها أعمال رديئة مقززة، يُستحى منها، أو أعمال تصادم حريَّات الآخرين المكفولة لهم شرعًا..**

الداعية: **من يرفض الراحةَ في ظلِّ النعم المتاحة.. خدمة لهدفه.. ومن يرفض الشبع؛ لأن غيره جائع.. ذلكم هو الداعية الصادق للإصلاح..**

انتهازي: **شخصية الانتهازي شخصية مهزوزة أصلًا..، وهو طاعون من طواعين العصر التي يجب مكافحتها..**

وعظتني نفسي

الأستاذ جبران خليل جبران.

((وعظتني نفسي.. فعلَّمتني حبَّ ما يمقته الناس، ومصافاة من يضاغنونه، وأبانت لي أنَّ الحب ليس بميزة في المحبِّ بل المحبوب، وقبل أن تعظني نفسي كان الحب بي خيطًا دقيقًا مشدودًا بين وتدين متقاربين، كلّ ما سيكون .

***

وعظتني نفسي.. فعلَّمتني أن أرى المحبوب بالشكل واللون والبشرة، وأن أحدق متبصِّرًا بما يَعُدُّه الناس شناعةً، حتى يبدو لي حسنًا، وقبل أن تعظني نفسي كنت أرى الجمال شعلات مرتعشة بين أعمدة من الدخان واضمحل، فلم أعد أرى سوى ما يشتعل.

وعظتني نفسي.. فعلمتني الإصغاء إلى الأصوات التي لا تولدها الألسنة، ولا تضج بها الخناجر. وقبل أن تعظني نفسي كنت كليل المسامع مريضها، لا أعي سوى الجلبة والصياح، أما الآن فقد صرت أتوجس بالسكينة، فأسمع أجواقها منشدة أغاني الدهور، مرتلة تسابيح الفضاء، معلنة أسرار الغيب .

***

وعظتني نفسي.. فعلَّمتني لمس ما لم يتجسد ولم يتبلور، وأفهمتني أن المحسوس نصف المعقول، وأن ما نقبض عليه بعض ما نرغب فيه، وقبل أن تعظني نفسي كنت أكتفي بالحار إذا كان باردًا، والبارد إن كان حارًّا، وبأحدهما إن كان فاترًا. أما الآن فقد انتثرت ملامسي المنكمشة، وانقلبت ضبابًا دقيقًا يخترق كلَّ ما ظهر من الوجود ليمتزج بما خفي منه.

***

وعظتني نفسي فعلّمتني استنشاق ما لا تبثه الرياحين، ولا تنشره المجامر، وقبل أن تعظني نفسي كنت إن اشتهيت عطرًا طلبته من البساتين، أو القوارير، أو المباخر.. أما الآن فقد صرتُ أشمُّ ما لا يحترق ولا يهرق، وأملأ صدري من أنفاس زكية لم تمر بجنَّة من جنات هذا العالم، ولم تحملها نسمة من نسمات هذا الفضاء.

***

وعظتني نفسي.. فعلّمتني أن أقول: ((لبيّك)) عندما يناديني المجهول والخطر، وقبل أن تعظني نفسي كنت لا أنهض إلا لصوت منادٍ عرفته، ولا أسير إلا على سبيل خبرتها فاستهوتها.

أما الآن فقد أصبح المعلوم مطية أركبها نحو المجهول، والسهل سُلَّمًا أتسلق درجاته لأبلغ الخطر.

***

وعظتني نفسي.. فعلّمتني ألا أقيس الزمن بقولي: كان بالأمس وسيكون غدًا.

وقبل أن تعظني نفسي كنت أتوهم الماضي عهدًا لا يُرد، والآتي عصرًا لن أصل إليه.

أما الآن فقد عرفت أن في الهنيهة حضارة كل الزمن بكل ما في الزمن مما يرجى وينجز ويتحقق.

***

وعظتني نفسي.. فعلّمتني ألا أحدَّ المكان بقولي: هنا وهناك وهنالك.. وقبل أن تعظني نفسي كنت إذا ما صرت في موضع في الأرض ظننتني بعيدًا عن كل موضع آخر، أما الآن فقد علمت أن مكانًا أحل فيه هو كل مكان، وأن فسحة أشغلها هي كل المسافات.

***

وعظتني نفسي فعلَّمتني أن أسهر وسكان الحيّ راقدون، وأن أنام وهم منتبهون.

وقبل أن تعظني نفسي كنتُ لا أرى أحلامهم في هجعتي، ولا يرصدون أحلامي في غفلتهم.. أما الآن فلا أسبح مرفرفًا في منامي إلا وهم يرقبونني، ولا يطيرون في أحلامهم إلا وفرحت بانعتاقهم.

***

وعظتني نفسي.. فعلّمتني ألا أطرب لمديح ولا أجزع لمذمَة، وقبل أن تعظني نفسي كنت أظل مرتابًا في قيمة أعمالي وقدرها حتى تبعث إليها الأيام بمن يقرضها أو يهجوها .

أما الآن فقد عرفت أن الأشجار تزهر في الربيع، وتثمر في الصيف، ولا مطمع لها بالثناء.

وتنثر أوراقها في الخريف، وتتعرى في الشتاء، ولا تخشى الملامة.

***

وعظتني نفسي.. فعلّمتني أن السراج الذي أحمله ليس لي، والأغنية التي أنشدها لم تتكون في أحشائي، فأنا وإن سرت بالنور، وأنا وإن كنت عودًا مشدود الأوتار فلست بالعوّاد.

***

وعظتني نفسي يا أخي وعلّمتني، ولقد وعظتك نفسك وعلمتك، فأنت وأنا متشابهان متضارعان، وما الفرق بيننا سوى أنني أتكلم عما بي، وفي كلامي شيء من اللجاجة، وأنت تكتم ما بك وفي تكتمك شكلٌ من الفضيلة)).

المصلح: لا يتملق أحدًا، ولا يسعى لرضى أحد، إلا الله جل وعز.. ذلكم هو المصلح الصالح..

لا تترك خبزك

فإن من ترك خبزه أكلته الدجاج، ومن ترك فنَّه ولج فيه كل جاهل.. ولقد رأيت أن السكوت عن الحق منه رفعة للباطل.. وجرأة للسفهاء، والعالة على بسط المقال في كل ما هب ودب.. ومن هذا يجب على طلاب العلم وأهل الفضل والصلاح بيان الحق في حال الحاجة إليه، وعدم السكوت وقت الحاجة للبيان، إذ إن السكوت عند الحاجة للبيان نقص وضعف وخور.. في المنهج والطريقة.. يقول عليه الصلاة والسلام: ((بلِّغوا عنِّي ولو آية)).

وقد حدثني أحدُ المحبين عن موقف له فقال: كنت في منزل قريب لي، ودار الحديث عن بعض قضايا الشريعة، ولم يكن في المجالس من أهل العلم الشرعي المختصين إلا أنا.. ولكن منعني صغر السن، والحياء من صاحب الدار، أن أشارك في الحوار.. والشاهد.. أن كل من هب ودب شارك في طرق الموضوع، ووالله لم أجد من بَيَّنَهُ حق البيان... وشفى صدري مما كان..

ثم طلب صاحب الدار مني أن أشارك في الحوار.. فحمدت الله، وولجت في الموضوع، وكنت على شدة فرحي بالبيان أشد فرحًا بما قال أحدهم لي: أين أنت عنا من الصباح؟!!

فعلمتُ أن الناس بحاجة لطالب العلم أن يبين لهم الحق، ولا يكتم ما يحمله، فإنما الإثم على من كتم..

فقلت لصاحبي..: بعد هذا الموقف ماذا قررت؟!

قال: قررت أن أشارك بكل أدب في طرح مؤدب واضح، بعيد عن الجرح للأشخاص، والهيئات، والمؤسسات، قلت: نِعْم القرار... وليس العلم إلا بالتعلم.. وليس الحلم إلا بالتحلم.. ولا تنس..

اعمل بعلمك تغنـــــم أيها الرجل

لا ينفع العلم إن لم يحسن العمل

فالله.. الله بالعمل بهذا القرار.. والطفل يؤلمه الفطام

ومن عيوبي أني جبان عند الوداع...

وذلك أني أهرب من موادعة من أحبهم.. فإني صاحب قلب ضعيف يصدعه الفقد، ويؤلمه الفراق.. وكم جنى عليَّ هذا الهروب من جنايات. فهو يحمل بعض الناس على سوء الظن بك، أو سوء الأدب معك، وأنك ما حملك على جميع ما سبق إلا حبه، ولوعة فراقه.

ومن خُلقي: أني ألوف، وأنه يطول التفاني للذين أفارقُ. وما أذكر أني تعرفت على رجل إلا وبين عيني مشهد فراقه.. وهذا والله مؤلم .

فليت شعري هذه الدنيا لمن؟؟!!

أساتذتي (٢)

دخل علينا في هيبة ووقار ..، وتحدث لنا حديث الوقار عن الجبَّار ..، وغرس في نفوسنا تعظيم الله ..

لا أنسى حديثه وصوته يتهدج! وأطرافه ترتعد .. ثُمَّ ما يلبث إلا ويغلق عين رأسه، ويفتح عين قلبه ويحلق بنا معظمًا الله جَلَّ وَعَزَّ، حتى والله تغشانا السكينة ..

فغرس في نفوسنا حب التوحيد، ومحبة الله، وتعظيم الله جَلَّ وَعَزَّ .. فهنيئًا له ..

ولا يفوتني .. أن أقول:

يا معلم الناس الخير ... أثرك فيهم عظيم ..، فلا تنساه .. وتعهد زرعك .. يّنْبُت..

رخيص: **ألا ما أتفه الحب إذا كان شهوةً وكلامًا.. وأرخصه إذا كان.. سهرةً ومدامًا..**

التأله: **لن تحب الله على الحقيقة.. إلا إذا عرفت الله.. ولن تعرفَ الله إلا بالعلم به..**

بعد الخمسين

الأستاذ: علي الطنطاوي.

((نظرت في التقويم، فوجدت أني أستكمل اليوم (٢٣ جمادى الأولى ١٣٧٩هـ). اثنتين وخمسين سنة قمرية، فوقفت ساعة أنظر فيها في يومي، وأمسي، أنظر من وراء لأرى ماذا أفدت من هذا المسير.

وقفت كما يقف التاجر آخر سنة، ليجرد دفاتره، ويحرر حسابه، وينظر ماذا ربح وماذا خسر..

وقفت كما تقف القافلة التي جُنَّ أهلوها، وأخذهم السُّعار، فانطلقوا يركضون لا يعرفون من أين جاؤوا، ولا إلى أين يذهبون، ولا يهدؤون إلا إذا هدهم التعب فسقطوا نائمين كالقتلى..

وكذلك نحن إذ نعدو على طريق الحياة، نستبق كالمجانين ولكن لا، علامَ نتسابق، نعمل أبدًا من اللحظة التي نفتح فيها عيوننا في الصباح، إلى أن يغلقها النعاس في المساء، نعمل كل شيء إلا أن نفكر في أنفسنا، أو ننظر من أين جئنا، وإلى أين المصير.

وجردت دفاتري، أرى ماذا طلبت، وماذا أعطيت. طلبت المجد الأدبي، وسعيتُ له سعيه، وأذهبت في المطالعة حدَّة بصري، وملأت بها ساعات عمري، وصرمت الليالي الطوال أقرأ وأطالع، حتى لقد قرأت وأنا طالبٌ كتبًا؛ من أدباء اليوم من لم يفتحها مرة لينظر فيها، وكان لي أستاذ يبصرني طريقي، ويأخذ بيدي، وما كان

من أساتذتي من هو صاحب أسلوب في الكتابة يأخذني باتباع أسلوبه، ولا كان فيهم من له قدم في الخطابة، وطريقة في الإلقاء، يسلكني مسلكه، ويذهب بي مذهبه.

و ما يسميه القراء أسلوبي في الكتابة، ويدعوه المستمعون طريقتي في الإلقاء، شيء مَنَّ الله به عليَّ، لا أعرفه لنفسي، لا أعرف إلا أني أكتب حين أكتب، وأتكلم حين أتكلم، منطلقًا على سجيتي وطبعي، لا أتعمد في الكتابة إثبات كلمة دون كلمة، ولا سلوك طريق دون طريق، ولا أتكلف في الإلقاء رنَّة في صوتي، ولا تصنعًا في مخارج حروفي...

وكنت أرجو أن أكون خطيبًا يهز المنابر، وكاتبًا تمشي بآثاره البُرَدْ، و كنت أحسب ذلك غاية المنى وأقصى المطالب..

فلما نلتُه زهدت فيه، و ذهبت مني حلاوتُه، ولم أعد أجدُ فيه ما يُشتهى ويُتمنى.. وما المجد الأدبي؟ أهو أن يذكرك الناس في كل مكان، وأن يتسابقوا إلى قراءة ما تكتب، وسماع ما تذيعه، وتتوارد عليك كتب الإعجاب، وتقام لك حفلات التكريم؟ لقد رأيت ذلك كله، فهل تحبون أن أقول لكم ماذا رأيت فيه؟ رأيت سرابًا... سرابًا خادعًا، قبض الريح!!..

وما أقول: هذه مقالة أديب يبتغي الإغراب، ويستثير الإعجاب، لا والله العظيم -أحلف لكم لتصدقوا- ما أقول إلا ما أشعر به، وأنا من ثلاثين سنة أعلو هذه المنابر، وأحتل صدور المجلات والصحف، وأنا أكلم الناس في الإذاعة كل أسبوع مرة من سبع عشرة سنة إلي اليوم، ولطالما خطبتُ في الشام ومصر والعراق والحجاز والهند وكان اسمي فيها على كل لسان في بلدي، وفي كل

بلد عشت فيه. خطبتُ في أندونيسيا خطبًا زلزلت القلوب، وكتبت مقالات كانت أحاديث الناس، ولطالما كرت أيام أو وصلت إليه مقالاتي، وسمعت تصفيق الإعجاب، وتلقيت خطب الثناء في حفلات التكريم، وقرأت في الكلام عني مقالات ورسائل، ودَرَسَ أدبي ناقدون كبار، ودرس ما قالوا في المدارس، وترجم كثير مما كتبت إلى أوسع لغتين انتشارًا في الدنيا: الانكليزية و الأردية، وإلى الفارسية والفرنسية.. فما الذي بقي في يدي من ذلك كله؟ لا شيء..

وإن لم يكتب لي الله على بعض هذا بعض الثواب، أكن قد خرجت صفر اليدين.. إني من سنين معتزل متفرد، تكر عليّ أسابيع وأسابيع لا أزور فيها ولا أزار، ولا أكاد أحدث أحدًا إلا حديث العمل في المحكمة، أو حديث الأسرة في البيت، فماذا ينفعني وأنا في عزلتي إن كان فيها من يذمني، أو لم يكن فيها كلها من سمع باسمي؟!.

ولقد قرأت في المدح لي ما رفعني إلى مرتبة الخالدين، ومن القدح فيّ ما هبط بي إلى دركة الشياطين، وكرمت تكريمًا لا أستحقه، وأهملت حتى لقد دعي إلى المؤتمرات الأدبية الرسمية المبتدئون، وما دعيت منها إلى شيء، فألفت الحالين، وتعودت الأمرين، وصرت لا يزدهيني ثناء ولا يهز السب شعرة واحدة في بدني.. أسقطت المجد الأدبي من الحساب، لما رأيت أنه وهم السراب.

وطلبت المناصب ثم نظرت فإذا المناصب تكليف لا تشريف، وإذا هي مشقة وتعب، لا لذّة وطرب، وإذا الموظف أسير مقيّد بقيود الذهب.

وإذا الجزع من عقوبة التقصير أكبر من الفرح بحلاوة السلطان. وإذا مرارة العزل أو الإعفاء من الولاية، أكبر من حلاوة التولية.

ورأيت أني مع ذلك كله قد اشتهيت في عمري وظيفة واحدة. سعيت لها وتحركت شوقًا إليها. هي أن أكون معلمًا في المدرسة الأولية في قرية حرستا، وكان ذلك من أكثر من ثلاثين سنة.. فلم أنلها، فما اشتهيت بعدها غيرها.

وطلبت المال وحرصت على الغنى، ثم نظرت فوجدت في الناس أغنياء وهم أشقياء، وفقراء وهم سعداء. ووجدتني وقد توفي أبي وأنا لا أزال في الثانوية، وترك أسرة كبيرة، وديونًا كثيرة، فوفّى الله الدين، وربى الولد، وما أحوج إلى أحد.. وجعل حياتنا وسطًا ما شكونا يومًا عوزًا، ولا عجزنا عن الوصول إلى شيء نحتاج إليه، وما وجدنا يومًا تحت أيدينا مالًا مكنوزًا لا ندري ماذا نصنع به.. فكان رزقنا والحمد لله كرزق الطير: تغدو خماصًا وترجع بطانًا. فلم أعد أطلب من المال إلا ما يقوم به العيش، ويقي الوجه ذلّ الحاجة.

وطلبت متعة الجسد، وصرمت ليالي الشباب أفكر فيها، وأضعت أيامه في البحث عن مكانها، وكنت في سكرة الفتوة الأولى، لا أكاد أفكر إلا فيها، ولا أحن إلا إليها، أقرأ من القصص ما يتحدث عنها، ومن الشعر ما يشير إليها.

ثم كبرت سني وزاد عملي، فذهبت السكرة وصحت الفكرة، فرأيت أن صاحب الشهوة الذي يسلك إليها كل سبيل،كالعطشان الذي يشرب من ماء البحر، وكلما ازداد شربًا ازداد عطشًا، ووجدت أن من لا يرويه الحلال و يقنع به و يصبر عليه، لا يرويه الحرام ولو

وصل به إلى نساء الأرض جميعًا..

ثم ولَّى الشباب بأحلامه وأوهامه، وفترت الرغبة، ومات الطلب، فاسترحت وأرحت.. وقعدت أرى الناس.. أسال: عَلَام يركضون؟ وإلام يسعون؟ وما ثم إلا السراب!!

مرض: **مرض يصيب أهل التدين.. وهو خطير.. إنه تحول العبادات إلى عادات.. فيموت الدافعُ الذاتي للطاعة..**

قيمة: **قيمة الإنسان ما يُحسنُه.. فحدد.. مكانك وقيمتك..**

لحظة مع الأدب السامي

الأدب السامي في السلوك..

الأدب السامي في الهمة العالية..

فلا يعرف الفضلَ لذوي الفضلِ إلا صاحبُ الفضل...

الأدب السامي.. قد يكون في قافية.. وقد يكون في نص أدبي راقي يحس على كل فضيلة، وقد يكون في النظرة والعبرة، والخطرة..

الأدب السامي... إحساس دقيق.. بكل من يحيط بك مراعاةٌ لشعوره.. حفاظًا لوده.. حسن عهد به.

وفي الحديث: «حسن العهد من الإيمان»...

موازنة:

قليلٌ من العمل مع يقظة الإيمان.. والضمير.. خير من كثير من العمل الذي لا روح فيه..

المصيدة

رأيت أن في الابتسامة مفتاح للسلامة.. بل ومصيدة لقلوب أهل الفضل والكرامة..

وقد قيل: أحب الأعمال تبسمك في وجوه الرجال.. وهي مفتاح فَعَّال لفتح القلوب.. والأصل في هذا..

«وتبسمك في وجه أخيك صدقة».. أي بُنَيَّ! إن البرَّ شيءٌ هينٌ... وجه طليقٌ ولسانٌ لين

هي السحر الحلال.. بها تسبي القلوب وتأسر العقول، ويستجيب لك القاصي، والداني.. بها يعطف الوالد على ولده، وتروم الأم طفلها.. ويحنو الزوج على زوجته.. ويعطف الصاحب على صاحبه.. مصدر إشعاع لكل خير إن صدقت.. ومصدر إسعاد لكل جيل إن نطقت.. ومصدر عطف وحنان..، وأمن وأمان.. تشرح الصدور.. وتُأَمِّنُ النَّفور.. سهامها إلى قلوب الأضداد واصلة.. وبرد حلاوتها في الأبدان حاصلة.. فابتسم.. ليبدو الكون مبتسمًا... ابتسم في وجه من عرفت ومن لم تعرف.. ابتسم في وجه المصيبة، واصبر واحتسب.. فإنك إن فعلت.. عصرت الليمون وزدته سكرًا..

وقفتَ وما في الموت شكٌّ لواقفٍ

كأنك في ثغر الردى وهو باســـــم

ابتسم.. فإن لك ثقة بالرب جل ذكره، وثقة بالنفس في الأزمات.. وثقة بالطاقات والقدرات. فابتسم.. فإن مفتاح دار سلام الدنيا... البسمة الصادقة.. فابتسم.. فأنت إذا ابتسمت عشت في عالم المتميزين سعيدًا منشرح الصدر، هادي البال.. وعلماء النفس، وعلماء الفكر يقولون: إن الابتسامة، والتفاؤل مفتاح للنجاح.. وسبيل للإقبال على الأعمال بتميز، وسرور، وعدم فتور.. فاجعل من نهارك نهار الإنجازات

و الإبداعات، والتميزات بالبسمة.

فَهْي أسحر من فعل هاروت وماروت.. وألطف من العبير.. وأشرف من كل شريف.. فابتسم لتنجح.

الثبات:

الوتد.. ثابت.. لكنه يُثبت غيرهُ عند هبوب الرياح.. فهل فهمت الغاية..

الدراهم

ومـن عيوبـي أنـي قليـل التجـارب الماديـة.. ويظهـر لـي أن ذلـك من ثمـرة تقديـم علاقاتي الإنسـانية علـى قضايـاي المادية.. ممـا يجنـي جنايـة خطيـرة علـى دراهمي..

وكذلـك ثمـرة بعـض التجـارب الفاشـلة، زاد مـن حـذري مـن الناس في هـذا البـاب.. فالدرهـم والدينـار والريـال «مراهم» قلـوب النـاس.. و كـم فـرق الدرهـم والدينـار بيـن أخ وأخيـه.. فكيـف بصديـق «مصلحـة».

تنقضـي صداقتـك معـه بانقضـاء مصلحتـه منـك. والأخطـر مـن ذلـك هـو مـن يأتيـك بثـوبٍ متـأدبٍ متزهـدٍ متخشـعٍ، وقلبُ الذئـبِ بيـن جنبيه.. يا سـادة.. بصراحة.. أشـعر أحيانًـا عند هؤلاء أنني سـاذج مسـكين..

وبعـد أن نـرى مشـاهد الصالحيـن، وعبـرات الزاهديـن، ودمـوع المتقيـن، تخـوض غِمـار التجربـة، فـإذا بدراهمـك دار بهـا همـك.. وزاد بهـا غمـك. وأحيانـا وبصراحـة ليـس لفقدها.. بـل لفقـد صديـق اصطفيتـه ووثقـت منـه، ثـم قضـى بـك لُبانتـهُ، وتـركك.. فليـت شـعري هـذه الدنيـا لمـن؟؟!!

مذهبي في الحياة

الأستاذ: أحمد حسن الزيَّات.

«مذهبي في الحياة يتميز بالاستقامة والوضوح، وبفضل هاتين الميزتين بلغت الغاية التي قصدتها منذ وعيت، لم أبلغ الثراء الضخم، ولا الجاه العريض، ولكني بلغت العيش الرخي، والبال الرضي، والذكر الحسن..

والسعادة الحق أقرب إلى الرضا والسكينة منها إلى المال والمنصب.. حرصتُ أن يكون مذهبي مستقيمًا، حين كانت العقبة ضخمة تعترضني، فأقف دونها طويلًا، أفتتها بمعولي الصغير حصاة حصاة إلى أن تذل وتزول..

وحرصتُ على أن يكون مذهبي واضحًا، حتى كانت المشكلة صعبة تعرض، فيكون حلُّها يسيرًا بشيء من النفاق، وقليل من المصانعة، ولكني كنت أنفر من ذلك كله، وأحاول أن أعالجه بالصدق والصبر والصراحة، فتنحل بعد أن تترك في النفس من الأثر ما يتركه الجرح في الجسد من الندوب، ولكن هذه الندوب ستظل على الزمن مثارًا للذة من لذات الروح، تشيع فيها العزة والحرية والكرامة..

نهج لي هذا المذهب، وألزمني إياه طبعٌ حرٌّ مسالم، فأنا منذ حملت نصيبي من عبء الحياة أحاول أن أستقل في عملي عن إرادة الغير، وأستغنى بقدرتي عن معونة الناس، فلم

أضع يدي ولا عنقي في أغلال الوظائف الحكومية، ولم أصعد العليق على أكتاف الطوال من ذوي السلطان، وإنما اضطربت في مجالي الحيوي طليقًا من كل قيد إلا قيد الخلق، مستقلًّا عن كل عون إلا عون الله..

بذلك سَلَمَت نفسي من رذائل الوظيفة، فلا جبن ولا رياء ولا ملق، وبرئت حياتي من نقائص التبعية؛ فلا خضوع ولا إغضاء ولا ذلة.. مذهبي أن أدع الخَلْقَ للخالق، فلا أنتقد ولا أعترض، ولا أمد عيني وراء الحجب، ولا أرهف أذني خلف الجدر، ولا أدس أنفي بين الوجوه، ولا أزحم بمنكبي من يمشي عن يميني أو عن يساري ما دام الطريق مفتوحًا أمامي إلى الوجه الذي أقصده، لذلك عشت ليِّن الجانب، سليم الصدر، لا أدخل في جدل، ولا أشارك في مراء، ولا ألج في منافسة، وكان من جدوى ذلك عليَّ أن الله وقاني عذاب الحسد، وكفاني شر العداوة، وجعل بيني وبين الناس قائمًا على المجاملة والمساهلة والود.

ومن مذهبي أن أسقط الماضي من حساب الحاضر فور انقطاعه، فلا أحزن على ما فاتني منه، ولا آلم لما ساءني منه، وتصيبني الخسارة فلا أجزع، إنما أطرحها من ربح الصحة والنجاح والأمن، ثم أدبر أمري على اعتبار أنها لم تكن، ويسوؤني الصديق فلا أبتئس، إنما أحمل إساءته على حيوانيته وأثرته، فإذا عاود الإحسان لا أعاتبه على ما كان، ولا أُذَكِّرُه بما فعل، وأي نفع أرتجيه من تعكير ما راق، وإشعال ما خمد.

إنـي لا أصـادق إلا مـن أحـب، واللـذة التي أجدهـا في حب الإنسـان، تعوضنـي عـن الألـم الـذي أجـده فـي لـؤم الحيـوان.. وللإيثـار جانـب عظيـم مـن مذهبي فـي الحيـاة؛ فأنا أوثـر صاحبي علـى نفسـي فـي المجلـس والحديـث والهوى..

وقـد أوثـره أحيانًا بالمنفعة؛ لأن شـعوري بأن أدخل السـرور عليـه، أو أجلـب السـعادة إليـه أجمـل في نفسـي من شـعوري بأن أتصـدر فـي الجلوس، أو أنفـرد بالكلام، أو أتغلب فـي الإرادة، أو أختـص بالفائدة.

ومـن مذهبـي أن أكـره الظهـور، وأمقـت الدعـوى، وأجتنب الفضـول؛ فأنـا أعيـش فـي عزلـة، وأعمل فـي صمت، وأمشـي في قصد..

وهـذه الخـلال قـد تعـوق عـن الوصـول فـي عصـر كهـذا العصـر، أعمالـه مظاهـر، وأقوالـه هتاف، ورسـائله إعـلان، وغايته شـهوة، ولكن الذيـن يندفعون إلى الأمـام بهذه الدوافع لا يلبسـون أن يفقـدوا الأجنحـة المصنوعـة والمحـركات المسـتعارة، فيقفـوا حتـى يفوتهـم أولئك الذين يسـيرون هونًـا على أقدامهـم الطبيعية، أو علـى مراكبهـم الخاصـة مـن غيـر أن ينالهم خـزي، أو يمسـهم لغـوب، ومـن أجـل ذلـك لـم أدخـل فـي حـزب، ولـم أقـف على منصـة، ولـم أظهـر فـي جريدة.

ومـن مذهبـي: أن أجعـل الجمال سـبيلًا إلـى الخيـر، ودليلًا علـى الحق، فأنـا أتوخَّاه في اللبـاس والطعام والمسـكن والأثاث، كما أتوخـاه في النفـس والفـن والطبيعة..

والمذهب طريق تذهب فيه، فإذا لم يكن له من الجمال شجر يحنو على جوانبه بالظل، وزهر ينسم على أفيائه بالعطر، وحادٍ يرفه على سالكيه بالنغم؛ كانت الحياة بأسًا من غير نعيم، وصحراء من غير واحة».

بَطَّال:

مِن أَحضانها تتولد الجرائم.. ومن أعطافها تفوح المفاتن.. وفي أزقَّتها تتكوم الجراثيم.. والأمراض الفتّاكة.. إنها البطالة.. عافانا الله وإياكم منها.. قاتلة الشعوب.. هي والطاعون وباء.. على حدٍّ سواء..

لحظة ثقيلة

عنـد الالتفات بعـد الوداع.. تـذرع الدمعة.. ويهتـز القلب... ولا أقـول إلا مـا يرضـي الـرب... غيـر أن علقـم الـوداع لا ينهـبُ طعمـه.. ولا ينقطـع همه...

ومـا أذكـر أنـي عرفـت صاحبًـا إلا وقـد جعلت نصـب عينيَّ لحظـة وداعـه.. فالطـرف يلتفـت علَّـهُ أن يحظـى بنظـرة و أفـق.. والقلـب يلتفـت علَّـه أن يظهـر مكنونًـا، ويبـدي مكنونًـا..

ومـــــن خلقي أني ألـــــوفٌ وأنه
يطـــــول التفاتي للذيـــــن أُفارِقُ

ظلام: **النفس المؤذية للآخرين نفسٌ مظلمة..**

نووي: **الفقــر والجهــل والتعجــل، مفتــاح لتدميــر الإنســانية فــي الإنســان..**

خلاصة الخلاصة

رأيتُ أن الذي يدمن القراءة ويطيل المطالعة.. ومن ثمَّ يَنعزِل عن مجتمعِه.. فإنه إن خالط المجتمع كان كارهًا له..، وقد مر ذلك عليَّ كثيرًا.. فوجدت ذلك خطأً.. فإنك إن داومتَ مطالعة خلاصة عقول الحكماء، والأدباء.. عشت في عالم رفيع الذوق والمستوى من المثالية..

ثم إنك إن خالطت الناس... ورأيت ما رأيت... قلت: على الدنيا السلام... فقد اندرست المعالم، والأدب والمكارم.. وَوَلَّدَ عندك هذا الأمر شعورًا بضيق العطن من المجتمعات، ونظرة سوداوية لها..، ويأسًا من إصلاحها، وإحباطًا من محاولة التجديد والتغيير فيها للأحسن..

والسلامة في ذلك أن تطالع وتقرأ بعين المستفيد الناقد، ويكون لك وقت لإلفة الناس، وزيارتهم، ومخالطتهم..، والصبر على أذاهم.. والاحتساب في ذلك..، وتطبيق ما تعلمتَه عليهم للإصلاح والتقويم والدعوة إلى كل فضيلة..

فإن جمعت بين خصال أربع حققت النجاح.. وهي: العلم.. والعمل به.. والدعوة إليه.. والصبر على ذلك.. حققت نجاحًا باهرًا في حياتك.. وعشت في شيء من الرضى عن الذات عظيم.. ولم يحصل لديك أي غبش في الرؤية لمجتمعك..

بـل زاد العطـف والشـفقة فـي قلبـك علـى ذلـك المجتمـع لإصلاحـه، وتطويـره.. والرُّقِـيِّ بـه حتى يكـون مثاليًّـا، أو قريبًا من ذلـك.. بهـذا أيضًـا تحقـق الرضى عـن مجتمعك.. وعـن ذاتك..، وتتجانـس نَظْرتُـك لـه..، ولا يكـون هنـاك غبش فـي الرؤية..

مفاتيح: **العلم والتربية مفتاح لضبط الحريات..**

عيش: **كلَّما عشنا من أجل بطوننا زاد توترنا، وكلما عشنا من أجل قلوبنا زادت رقَّتُنا..**

موت سريع: **من عاش ضعيفًا؛ مات ضعيفًا..**

سادات السادات

ومـن عيوبـي أنـي أقـدر الثقافة فـي زمن سـادت فيـه المادة، فأكـون بيـن النـاس داعيًـا للمثاليـة، وطالبًـا للكمـال، وهـذا فيه ما فيـه مـن مصادمـة النـاس، ومعاندتهـم والحـرص علـى حملهـم على توسـيع مـدارك الثقافـة، ودعـم السـلوك الثقافـي، ولكنك بين عبـدٍ للخميصـة، وبيـن عبـد للخميلـة، وبيـن عبـد للدرهـم، وبين عبـدٍ للدينـار، فتعسـوا وخابـوا وربـي وخسـروا.. فمـن ينثـر الـدرَّ عنـد سـارحة البقـر إلا رجـل به أذًى مـن رأسـه.. وعيب فيـه بَيِّن.. فالدراهم سـادات السـادات.

عمومًـا.. أنـا أشـعر أحيانًـا كثيـرة باختنـاق من هـذه الأجواء الماديـة البحتـة.. مما يدفعنـي لمعاقرة الشـاي وحدي، ومجالسـة جليسـي الخـاص وصاحبـي الأميـن، وتضيـق روحـي وقيسـم حبـى... كتابـي..

الكلمة: **«الكلمة الطيبة صدقة»، وقد يكون حَلّ الخلاف، وتقريب وجهات النظر في كلمة واحدة..**

في خياراتنا يكمُن نمُوُّنا

الأستاذ: ستيفن كوفي.

«إحدى أعمق الخبرات التي غيرت حياتي بشكل حقيقي، والتي لعبت دورًا مفاهيميًّا أساسيًّا في تأليفي للعادات السبع، حدثت عندما كنت في إجازة في هاواي.

ذات يوم كنتُ أتجوَّل على مهل بين رفوف إحدى المكتبات، وبما أني كنت في حالة من التأمل والتفكر، فقد التقطت أحد الكتب، وقرأت فيه ثلاث جمل هزتني من الأعماق:

هناك مسافة بين المؤثر والاستجابة ..

في هذه المسافة تكمن حريتنا وقدرتنا على اختيار استجابتنا..

في خياراتنا تلك يكمن نمونا وسعادتنا.. عقليًّا، كنت قد تعلمتُ من مصادري أننا أحرار في اختيار استجابتنا لكل ما يحدث لنا.

ولكن في ذلك اليوم بالتحديد، وفي أثناء المزاج التأملي، وحالة الاسترخاء التي كنت فيها، فإن فكرة المسافة بين ما يحدث لنا، واستجابتنا له صدمتني، وكأنك ألقيتَ عليَّ طنًّا من الآجر..

منـذ ذلك الوقـت بدأت أفهـم وأعتقد أن مقدار هذه المسـافة تحـدده إلـى حـد كبيـر موروثاتنـا أو طبيعتنـا الحيويـة، والطريقـة التـي تربينـا بهـا والظـروف. قـد تكـون هـذه المسـافة كبيـرة جـدًّا عنـد أولئـك الذيـن نشـؤوا في بيئـة منحتهـم الكثيرَ مـن الحب غير المشـروط والدعـم، وقـد تكـون صغيـرة جـدًّا عنـد آخريـن نتيجة لتأثيـرات وراثية

و بيئيـة مختلفـة، لكـن الفكـرة الأساسـية هنـا هـي أن هـذه المسـافة موجـودة، واسـتخدامها هـو الـذي يعطينـا الفرصـة لتوسـيعها..

بعـض النـاس الذيـن يملكون مسـافة كبيرة جدًّا قـد يختارون الاستسـلام عندمـا تواجههـم ظـروف مناوئـة، ومـن ثـم يقلّصـون المسـافة بيـن المؤثـر والاسـتجابة، والبعـض الآخر ممـن يملكون مسـافة صغيـرة قد يسـبحون عكـس التيـار، ويواجهـون المؤثرات الوراثيـة والاجتماعيـة والثقافيـة القويـة، هـؤلاء يتسـع مجـالُ حريتهم ويتسـارع نموهم وتتعمَّق سـعادتهم. إن الأشـخاص الذين ذكرناهـم فـي الحالـة الأولى لا يفتحـون معظم الهدايـا الثمينة التي ولـدت معهـم، وبالتدرج تصبـح وظيفتهم فـي هذه الحيـاة محددة بظروفهـم وليـس بقدرتهم.

أمـا أصحـاب الحالـة الثانيـة فإنهـم يبذلـون جهـدًا عظيمًـا وثابتًـا، ويفتحـون هـذه الهديـة العظيمـة المتمثِّلـة فـي حريـة الاختيـار، ويكتشـفون القوة التـي تفتح أمامهـم كل الهدايا الأخرى التـي حباهـم اللـه بهـا منـذ ولادتهـم».

الحبس

رأيتُ أن الصبر من أنفع الأدوية للنفس..، ومن يؤت الصبر يؤت خيرًا كثيرًا.. بل هو مفتاح الإمامة في الدين، ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤].

يقول ابن تيمية رحمه الله: بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين..أهـ.

و هو حبس للنفس في سبيل رضى الرب الكريم.. والصبر منزلة يثبت عندها القلب، بقضاء الرب، فيرضى ويسلم.. وما نجح أمر ولا تم إلا بالصبر.. وما ثبت نبي ولا صالح ولا ولي إلا بالصبر.. بعد تثبيت الله وتوفيقه.. وما قُضِيَتْ حاجةٌ إلا بالصبر.. وما فُرِّجَتْ كربة إلا بالصبر.. وما لَطُفَ أمر ولانَ إلَّا بالصبر.. وما كان الصبر في بستان إلا أثمر.. ولا في حديقة إلا أزهر.. ولا في كليلٍ إلا أبصر.. بالصبر تحلو المصائب.. وتهون النكبات.. بالصبر تكون المحنة منحة.. والرزية عطية.. والنقص زيادة.. وقد رتب الرب الرحيم الكريم عليه أجورًا عظيمة.. فقال: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠]، أي بلا حَدٍّ ولا عَدٍّ، ولا كَمٍّ ولا كيف.. ولكن يوفَّون حتى يرضون، بما تجرَّعوا من مرارة الصبر في الدنيا.. والصبر من شيم نفوس الأشراف، ومن أوسع الألطاف.. فلا يدانيه مدان..

قال الشيبانيُّ قاسم:

نعم في سبيل الحق يحلو لنا الصبر
أجل وبحقٍّ فيه يســـــتعذب المُرُّ

تجرعـــــت كأس الصبر حتى ألفتهُ
ومن يعشـــــق العليا ديدنهُ الصبرُ

وكم محنةٍ ســـــوداءَ بمســـــلمٍ
ويعقبها من بعدِ شـــــدتها يسرُ

لا: **لا تخجل من كلمة: «لا»؛ فإنك قد تُحمِّل نفسك أشياء لا طاقة لكَ بها؛ فتخفق في الجمع بينها..**

تسخُّط: **إيَّاك والمتسخِّط على القَدَر؛ فإنه يقبع وراء كواليس التشاؤم...**

تنقيب: **استخراج أحسن ما في السيِّئين، فإنَّ الدرهم له وجهان، والليل يعقبه النهار..**

الإدمان

ومن عيوبي إدامة النظر إلى الناجحين والبارزين والمشهورين..

وهذا فيه ما فيه من رفع الهمة ولا شك..

غير أن فيه ما فيه من العجب والتطلع لثمرات الدنيا قبل الآخرة، والاغترار ببريق الشهرة، وهي خلابة خداعة.

الدفن:

إنَّ إزهاق الأنفس واقعٌ على أفراد..، أما مصادرة الحريات؛ فهو زمن للأحياء في مقبرة الباطل...

التميز:

لا تتمنَّى ما لا تملك.. ولا تمدح من لا يستحق.. ولا تبنِ بخيالاتك قصورًا مشمخرة، ولكن..؛ وحِّد همك، وأرضِ ربَّك.. واحفظ لسانك، وأكرم ضيفك.. تجد التميُّز يحيط حياتك..

لحظة جُوَّانِيَّة

تأملتُ جوَّانِيَّ الإنسان و برَّانيه.. فرأيت كثيرًا من الناس يعتني بالبرَّاني عنايةً فائقة، بل وعلى حساب الجَّواني..

فاللباس لأعين الناس، والأخلاق لطلب الأرزاق.. ونسي المسكين جوانيه.. فعاش في فصام... يتجاذبُه الجواني بعطش.. وهو يفيض على البرَّاني..

والعافية في ذلك أن يوازن بين هذا وهذا، مع مراعاة أن الجوَّاني هو الأصل، فإذا صلُحَ صَلُحَ البرَّاني..

تفاءل:

إن أردت أن تكون إيجابيًّا بقدر الإمكان، فعليك بالتفاؤُل؛ فهو ترياق الحياة..

عجلة محمودة:

كما أن تعجيل المعالجة للخطأ مطلوب، فإن تعجيل المكافأة للمحسن مطلوب أيضًا..

لا تظاهر بالعداوة أحدًا

الإمام: ابن الجوزي.

«مما أفادني تجارب الزمان أنه لا ينبغي لأحد أن يتظاهر بالعداوة أحدًا ما استطاع، فإنه ربما يحتاج إليه مهما كانت منز لته .

وإن الإنسان ربما لا يظن الحاجة إلى مثله يومًا ما، كما لا يحتاج إلى عويد منبوذ لا يلتفت إليه. لكن كم من محتقر احتيج إليه؟!.

فإذا لم تقع الحاجة على ذلك الشخص في جلب نفع وقعت الحاجة في دفع ضر.

ولقد احتجت في عمري إلي ملاطفة أقوام ما خطر لي قط وقوع الحاجة إلى التلطف بهم.. واعلم أن المظاهرة بالعداوة قد تجلب أذى من حيث لا تعلم؛ لأن الْمُظاهر بالعداوة كشاهر السيف ينتظر مضربًا، وقد يلوح منه مضرب خفي، وإن اجتهد المتدرع في ستر نفسه، فيغتنمه ذلك العدو.. فينبغي لمن عاش في الدنيا أن يجتهد ألا يظهر بالعداوة أحدًا لما بينت من وقوع احتياج الخلق بعضهم إلى بعض، وإقدار بعضهم على ضرر بعض. وهذا فصل مفيد تبين فائدته للإنسان مع تقلب الزمان».

خذ ودع

رأيت أن مجالسة كثير من الأقران فيها مصالح ومفاسد، فمن مصالحها:

شحذ الذهن، وجلب التفكير، وتلاقح الفكر، وحسن المطالعة، واقتناص الفوائد، وصيد الأوابد..، وقطف المعاني كالثمار الدواني.. والبعد عن الشيطان ومجالسة الإخوان، و الصبر والسلوان..

وهي كثيرة جد كثيرة.. وأما المفاسد، فلو لم يكن فيها إلا الحسد، لكفى به.. عين الحاسد، عين حاقدة.. لا ترضى عنك إلا إذا تخليت عن نجاحاتك.. وتركت إبداعاتك.. هنالك فقط ترضى عنك عين الحاسد.. وقد قيل: الله أكبر ما أعدل الحسد بدأ بصاحبه فقتله..

قلب الحاسد يحترق صباح مساء.. وهو منك في أمر مريج.. والحسد داء الأقران..

ومفرق الإخوان، ومشتت الخلان.

لا مجالسة ولا مؤانسة.. ولا فائدة، ولا صيد علم..

بل حب للظهور، وقصور للظهور، وتعالٍ على كل من حضر.. وفتل للعضلات، و إبداء للطاقات، ونشر لغسيل العقول على المنصات.. جلست مع صاحب.. فأثنى ومدح ثم عاد، فنقد وجرح.. قلت: يرحمك الله... اثبت على الطريق،

فلا أدري أنت صاحب أم مجاف ومجانب.. ولقد وجدت أن حاسدك في الغالب هو صاحب صنعتك، وعدوك صاحب مهنتك.. إلا من هدى الله ووفق ورحم .. ولكن لابد من المجالسة والصبر وطلب الفائدة، والمراجعات، والحوارات والمناقشات... ليثبت العلم، ويستقر قراره..

خيرُ أيـــام الفتى يـــوم نفع
واصطناع الخيـــر أبقى ما صنع

ما ينـــال الخير بالبشـــر ولا
يحصـــد الـــزارع إلا ما زرع

مُرّ: **أرخِ سِتر الله عليك.. وتستر بعافيته.. فإن طعم الفضيحة مُرٌ..**

أنين: **إنَّ للمذنب أنينًا لا يقطعه إلا وقوفه بين يدي ربّ العالمين.. والمكاشفة له جل وعز.. والتوبة النصوح..**

أولويات

ومـن عيوبـي كثـرة علاقاتـي الاجتماعيـة ممـا جعـل حياتي أخذًا وعطـاءً..

وانغمسـتُ في ذلـك لدرجة أني أخشـى علـى واجباتي كأب لبيتـي الصغيـر الذي هو كل شـيء بالنسـبة لي..

ففيـه طموحاتـي وأملـى ومسـتقبلي.. وهـم أبنائـي.. وفيـه أصلـي وعلاقتـي وقلبـي.. وهـم والـداي.. وفيـه حبِّـي وقربـي وحائطـي ومبـكاي.. وهي زوجتـي صانعة نجاحـي.. وفيه عمادي ونجـادي، وسـندي وعضـدي.. وهـم إخوتـي.. وفيـه العاطفـة والأخـوة الصادقـة.. وهـم أخواتـي.. -بـارك اللـه لي فيهـم ولهم فيَّ .

والمـراد أنـي شُـغلت بالعلاقـات الاجتماعيـة أحيانًـا كثيـرة عـن هـؤلاء الأحبـة، بـل واللـه أنـي أشـغل حتـى عـن نفسـي.. فأجدنـي مـن لقاء تربـوي.. إلى لقاء علمـي.. إلى لقـاء ودي.. إلى لقـاء تحضيـري.. إلـى لقـاء استشـاري..

وفجـأة، وإذا بالليـل ينقطـع كأنـه حُزَّ بموسـيّ.. فأعـود، وأنا آيـلٌ للسـقوط على الفـراش.. فأتذكـر وأنا في الطريـق.. «ولبدنك عليـك حقًّـا.. ولزوجـك عليـك حقًّا، ولـزورك عليك حقًّـا، فأعطِ كل ذي حـق حقَّـه».. ثـم أحظـى بدقائق مـع أهلي، ثم أسـقط على فراشـي كجلمـود صخر حطه السـيل مـن عَلِ..

فمتى يكون في جدولي وقت لخاصتي.. والناس لا ترحم..

غير أني أقتطع من أسبوعي أيامًا هي بمثابة التعويض لكل من حولي.. وذلك عدا الإجازات.. فإني أحاول أن أخصصها للأبناء.. ورمضان فهو للوالدين.. وللوالدين فقط.. فما أجمل أن تقطع علائق الدنيا وعوائقها وتعود صبيًّا بين يدي والديك.. وإني لأرجو أن أكون قد وازنت هذه العلاقات.. وليت شعري تصفو هذه الدنيا لمن؟!!

الغَيرة:

مَن تخَلَّى عن رجولته..؛ فليس حريًّا أن يكون من أهل الغيرة الشرفاء.

لحظة شهوة

الغريـزة جبليَّـة.. غيـر أنَّ المهـذب يقيـم أَودَهـا بمصارفهـا المشـروعة..

ومـن سـواه يتركهـا بعصيميَّـة وحِدَّة.. هـذه الغريـزة يضعفها نـور الإيمـان، وغـض طـرف الإنسـان، فتحـول المناظـر الفتانـة، والألحـاظ القاتلـة، والخـدود القـدود.. والعيـون السـود.. إلـى حـلاوة إيمـان، يحبهـا العبـد فـي قلبـه إذا غـض طرفـه ودافعـه الإيمـان بربـه...

سبحان من عوض لذة بلذة.. وحلاوة بحلاوة.

إلى الله فيما نالنا نرفع الشـــــكوى

ففي يده كشف المضرَّة والبلوى

قبول مبدئي:

تَقَبّـل واقعـك، فـإن مَـن لا يشـعر بالرضـا عن نفسـهِ لا يملـك الثقـة بهـا، ممـا يجعلـه متقبلًا للهزيمـة والإخفـاق..

مركز الصيانة

رأيتُ أن مطالعة الكتاب صيانةٌ للنفس عن مخاطر الحياة، وبُعدٌ لها عن عجمية الأنباط، وربيعٌ في عقول الحكماء، وإفادةٌ من الحياة بطريقة سليمة..

وأن صرف أشرف الأوقات في قراءة أشرف الكتب، كتاب الله العظيم، وقرآنه الكريم..

ثم بعد ذلك الأشراف من المعارف والعلوم..

مع المراوحة بين الجد والراحة حتى تتمكن من الإفادة مما قرأت، مع وجود المسوغات للإفادة من قراءتك كوجود المكان المناسب، والضوء المناسب، والكتاب المناسب، والوقت المناسب، والجلسة المناسبة، وغير ذلك من دواعي الإفادة من القراءة، واجعل لنفسك تخصصًا تُلِمُّ بكل ما فيه من دقيق وجليل، ثم أحط من كل شيئًا شيئًا.. لِتُكَوِّنَ قاعدة فهم عريضة، وتستفيد من وقتك وحياتك.. واجعل جدولك ثابتًا لا يتغير.. ولا يتزحزح لتفلح وتنجح..

ولكل صاحب لذة مُتَنَزَّهٌ أبدًا و نزهة عالمٍ في كتبه..

فإن الكتاب صديق لا يخون..

ولكن كن كما قال الخليل ابن أحمد: اجعل ما في كتبك رأس مال، وما في صدرك للنفقة ... فالله.. الله.

بركاني

ومـن عيوبـي: عاطفتـي الزائـدة.. والعاطفـة إن لـم تضبـط أصبحـت عاصفـة..

ولكنـي في جهاد فـي ضبطهـا.. وأحرصُ كلَّ الحـرصِ على تأخيـر ردود أفعالـي تجـاه المواقف الخاصة والعامـة.. وما ذاك إلا لعلِّـي أن أتخـذ القرار بشـيء من الصـواب.. والعقلانيـة الواقعية.. وكـم فوت هـذا التأخيـر عليَّ مـن فرصة..

وكـم جنـت هـذه العاطفـة علـيَّ، فوثقتني بمـن لا يوثـق به.. وحببـت إلـيَّ مـن لا تحبـه حتـى الـكلاب.. وصبرتنـي علـى ما لا يصبـر عليـه إلا الموتى.. ومع ذا تجدني أحمل شـيئًا من السـعادة.. إن أنـا قدمـت شـيئًا مـن الإحسـان للآخريـن مهمـا كان قليـلًا.. ومهما كانوا جاحدين.. فليت شعري هذه الدنيا لمن؟؟!!

القدوة: | **القدوة هي مُربٍّ ناجحٌ بدون أيِّ كُلْفَة..**

تطرُّف: | **العاطفة الزائدة مفتاح للتطرف..**

أفصح

فيليب حتّي.

«علمتني الحياة أن أعرب عن آرائي -إذا طلب إليَّ ذلك- في اعتدال ولباقة، وطبقًا لما يمليه الضمير ووفقًا لما تتطلبه الأمانة الفكرية..

وذلك بغضِّ النظر عما إذا كانت تلك الآراء مناسبة أو مقبولة من الجانب الآخر، سواء أكان مستمعًا أم قارئًا..

وبعده، فإن المرء إنما يعيش مع نفسه، ولن تتاح السعادة أبدًا ما لم يتوفر السلام الوثيق بين اللسان والقلم من ناحية، وبين المبادئ الشخصية من الناحية الأخرى».

معادلة: **من خلَّى قلبه من الإيمان.. خَلَتْ نفسُه من الغيرة..**

لحظة وفاء

لـم أجـد فـي الحيـاة أوفـى منـه.. ولا في الظـلِّ أخـف منه.. ولا فـي الوفـاء أوفـى منـه أخلـو بـه.. فأُبُثُّـه ويبثني.. وكـم واللـه أسـمر طرفـي حتـى الفجـر.. فـكان نعـم السـمير.. إنـه الكتاب..

ومـن عـرف مـا عرفـتُ منـه، وذاق حـلاوة الخلـوة بـه..، والأنـس؛ أدرك قـدره واسـتبان لـه خطره... وهـذه لحظـة وفاء له مـن كل قلبـي..

كتابـــــي لا يبـــــاع ولا يعـــــار
لأن إعـــــارة المحبـــــوب عارُ

بنك: استمتع بما لديك، فأنت تحيا في فضائل، وحيزات، وقدرات، ومهارات.. فاحمد الله..

راحة الشعوب

رأيت أن الدين مفتاح القلوب وراحة الشعوب..

وسلامة الضمير، للأول والأخير.. فالزم الباب، ولا تخالف.. فإن الرب غنيٌّ جلَّ في غناه.. ولا تنس «تركته وشركه».. يقول جل من قال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾[الأنعام:٨٢].

هذا الوعد الكريم من الرب الرحيم بالأمن.. والثبات على الهوية في الأزمات..، الأمن النفسي من الهواجس والوساوس.. والأمن الاقتصادي في المال والحياة.. والأمن في الأوطان، والأبدان.. وشتى صنوف الأمن في الدنيا.. والأمن في البرزخ.

والأمن يوم الفزع الأكبر.. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام:٢٨] يهديهم الله لأحسن الأهواء والأدواء.. والعادات، والمعتقدات، والثبات على الطاعات..

إذا الإيمـــان ضاعَ فـــلا أمان
ولا دنيـــا لمن لم يحـــيِ دينا

ومـــن رضي الحيـــاة بغير دين
فقد رضـــي الفناء لهـــا قرينا

مقلةٌ بلا إيمان عمياء.. وشفةٌ بلا إيمان بكماء.. وكفٌّ بلا إيمان شلاء.. مظلمةٌ هي الدنيا بلا نور الإيمان.. قاتمةٌ هي الحياة بلا نور التوحيد.. ضياعٌ، وفسادٌ، ودمارٌ، وخرابٌ وأضيق من عش غراب...

مالها فقر دائم... وعافيتها مرض قائم...

واجتماعها فرقة وأي فرقة... الله كم فيها من لوعة... وأما أهل الإيمان.. فهم تحت لطف الرحمن.. لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة.. رزقنا الله وإياكم في سبيله الشهادة، والحسنى وزيادة.. ولن يقوم سوق الأمن في القلوب إلا بالإيمان.. فليعلم ذلك وليفهم..

يقول أحد كتبة الغرب: «والحب الصادق لا يكون إلا بالإيمان..»؛ وصدق فيما قاله.

ويقول آخر: «وسعادتك في هذا الكون، أن تؤمن بأنك مخلوق لعبادة رب عظيم».

سبحانه:

سبحان من استأثر باستحقاق البقاء، ووعظنا بما كتب علينا من الفناء، ثم جعل الموتَ مخلصًا للأتقياء..، موبقًا للأشقياء.. سبحانه.. ما أعظم شأنه..

ليلة الهروب

ومن عيوبي: أني إذا تذكرت شيئًا من عيوبي وحاولت معالجتها، وجدتني أحمل همًّا نفسيًّا تنوء به الجبال.. بل قد يمر اليوم واليومانِ، وأنا كسيف الحال والبال، ضائق النفس والنَّفَس مُدَّةً من الزمن..

وليس هذا إلا لما ألفته النفس من حبِّ الكمالات والحرص عليها.. فإذا التفتُ التفاتةَ صدق لأرمم ما سلف، وأُجَوِّد بناءَه.. وجدتني أنوء بحمل الهمِّ حتى أنتهي من كشف الحساب.. وألتفت للأمام.

فتعود النفس تستشرف المستقبل.. وتسعى في تحقيق بعض أحلامها.. وتطرب لما كانت تطرب له من مجالس المطالعة، ومجالس الشاي الأحمر المزعفر، وهو وربي خمر الدنيا الحلال بعد التبسم في وجوه الرجال..

فليت شعري هذه الدنيا لمن؟؟!!

أمل:

ما أجمل الأمل حين يحدوا مطايا القلب.. فهو نورٌ في ظلام..

لحظة احتجاج

بنى أحدهم بيتًا، وعرضه للبيع، فلم يشتره مُشتَرٍ؛ لأن البناء كان سيئًا.. فعدل عن البيع زمنًا،

ثم أخذ في تجميل البيت وزخرفة جدرانه الخارجية، وإعادة صبغه بألوان زاهية، ملفتة، وعرضه للبيع، فتلقفته الأيدي..؛ ويالله العجب.. حينما كان البناءُ رديئًا جمَّلت ظاهرها، كذلك بعض مسؤولي التعليم[1]، لما عجز عن حقيقة التعليم وسره، وهدفه، وثمرته، جعلنا أغنى الناس بالكلام الذي لا منفعة فيه، فجمَّل الظاهر والله يتولى السرائر..

تجرَّد: **إن من يريد الحقَّ عليه أن يتجرد من الهوى، والشهوة المأفونة، حتى يصل إلى برِّ الأمان..**

(١) كتبت هذا الكلام في المرحلة المنصرمة، عام ١٤٣٠هـ، ولعل الأمر تغير للأحسن بإذن الله..، فالتعليم واجهة البلاد، ومن الخلل أن يكون روادهُ، ومدبروه في قمة الذاتية، والبعد عن الموضوعية...

العيش في اللحظة القادمة..

ديل كارنيجي.

«مـن أفجـع الحقائق فـي الحياة الإنسـانية: أن النـاس يميلون إلـى الهـروب مـن الحيـاة، ويلـذ لهـم أن يتمتعـوا بالبعيـد الـذي يحلمـون بـه، كأنـه زهـرة فـي الأفـق، أكثـر مـن التذاذهـم بشـم الأزاهيـر الموضوعـة بقـرب نوافـذ غرفهـم ذاتهـا..».

لا تتعجل:

لا تتعجَّـل النتائـج، فـإنَّ الثمـارَ لا تـؤكل قبـل النضـج، وليسـت بأكمـل مـن الأنبيـاء عليهم السلام..

يوم في حياتي

رأيت أن التربية من أشق الأمور، وأصعبها على المربين.. إذ إنهم يستنفذون طاقاتهم البشرية في إصلاح أجيال... ولكن هل من مقدِّر لهذا المصلح المجهول، والجندي الخفي...

ضُرِب ضَربًا مبرحًا ذات مرة، حتى خمدت قواه، وسُبَّ أخرى سبًّا مقذعًا يستحي منه الشيطان.. مرّ ذات مرَّة بنفرٍ فتضاحكوا عليه، وسخروا منه.. تلَفَتَ يمينًا وشمالاً، فإذا بأصابع الاتِّهام تشير إليه، وتحيط به.. خرج من المدرسة بعد يوم طويل، ببدن عليل، وجهد كليل، يريد الذهاب لمنزله. وإذا بسيارته تربض على الطريق، وقد عطلت فيها كل قوة، وخمد فيها كل نشاط، تحَسَّب، استرجع، ومضى في سيارة أجرة، هذا الحدث، وهذه المأساة، على مرِّ الساعة، وأمر شبه يومي يحدث لكثير منا[1]..

هل يُكافأُ هذا المعلم.؟!

ومن يقف مع المعلم إن وقف الكل ضده؟!!

ومن يحمل همَّه، وقد حمل هو همَّ كثير من الخلق؟!

إن المعلم وقد توجَّهت إليه النضال، وسدِّدت إليه الرماح، لا يستطيع دفاع نحب قد أتى.. فهو لا يدري هل يحمل همَّ

(١) كتبتها عندما كنت في التعليم العام، وقد خرجت للتعليم الجامعي، وفي كل خير.

الجدول والحصص، ودفتر التحضير، والمدير[١].. وما أدراك ما المدير.. أم يحمل همَّ صحته، وقد أضناه التعب، وهدَّ قواه السُكَّر، والشرايين، والضغط، أم يحمل همَّ حريته الشخصية، وما يحصل له ولأسرته من مضايقات حياتية، شبه يومية.. أم يحمل همَّ أصابع الاتهام التي توجَّه دائمًا نحوه.. أم يحمل همَّ حسَّاده على الراتب، والإجازة، والتي تذهب في علاجه غالبًا.. أم يحمل همَّ عقله، وما أصابه من خلل، لكثرة ما يعرضه على الصبيان.

وصدق الأول:

هم يحسدوني على موتي فوا أسفى

حتى على الموتِ لا أخلو من الحسدِ

فالمعلم يوزِّع عقله وقواه البدنية على همومه، ولا يخرج هو بنصيب، إلا الشيب، هو لا يحتاج إلى (بدل صحة)، ولا إلى (بدل أمن وحماية) ولا إلى (بدل عقل)، ولا إلى (بدل سمعة).

إنه يحتاج إلى أن يعود معلِّمًا كما كان[٢].. يحتاج إلى أن يُقدَّر قدره، ويحترَم، ويعرف له فضلُه.. يحتاج إلى الدعاء، والسلامة من ألسنة الخلق.. يحتاج للسلامة ممن صعدوا على أكتافه يومًا ما، ثم تنكروا له، فيا ضيعة الآمال..

---

(١) تغير اللقب إلى «القائد»، لكن هذا يذكرني بأصحاب الشعارات.. ليس لهم إلا الأسماء.

(٢) وأحسب أن معالي الوزير الجديد قد سعى في هذا سعيا حثيثا... أكرمهُ الله..

وصَدَقَ الأول:

إن المعلِّم والطبيـــــب كليهما
لا ينصحان إذا هُمـــــا لم يكرما

ووجدت ذلك يتكرر معي في التعليم العالي، أو ما يوصف بالأكاديمي، لأن الطالب هو الطالب، نتاج مدارسنا، وحصيلة خططنا التربوية والتعليمية[1]..

وكأن السلف -رحمهم الله- عندما عنوا بكتب آداب الطالب، وآداب الطلب، كانوا يضعون العلاج لما ذكرت ..

كم أتمنى إضافة مواد علمية تخدم القيم المعرفية، والأخلاق، والسلوك؛ فضلًا عما يخدم سوق العمل ..؛ فسوق العمل بلا أخلاق أو قيم مجمع فساد ..

الهدف: **عُلوُّ الهدف.. بعُلو الهمة..، فمن كانت همَّتُه عاليةً، كانت أهدافهُ عالية سامية غالية.. والعكس بالعكس..**

(١) لذا لزم العناية والتأكيد على شأن التعليم في بلادي، ورفع الذاتية عنه، والعمل فيه بكل موضوعية.. بعيدا عن الصراعات الثقافية والفكرية على حساب جيل كامل؛ بل أجيال..

حلول سلمية

ومـن عيوبـي: أننـي لطيـف مع مَـن لا يَحْسُـن معـه اللطف.. سـواءً أكان شـخصًا، أو كان موقفًـا..

وهـذا جـرَّ عليَّ تبعـات كثيـرة فـي حياتـي العلميـة والعملية والاجتماعيـة، ولـذا أرى أن أحدنـا لو لـم يتعزَّى بالأجـور من عند العلـيِّ الغفـور، وإلا واللـه لهلـك وأهلك..

غيـر أن الإنسـان يحمـل الآخريـن علـى أحسـن المحامل ما استطاع.

وليـس ذلـك لأنهم أهـل لذلـك أحيانًـا.. ولكنـه؛ و بصراحة يربـأ بنفسـه عن حمـأة الغضـب والثـأر للـذات، وكثـرة التصفيات للحسـابات الشـخصية مـع مـن حوله..

فتجدني أميل للحلول السلمية كثيرًا..

و مـن أسـباب ذلك أحيانًـا أيضًا: هـو قناعتي بعـدم أهلية من أمامـي لبعض الغضـب.. أو العناية..

وأحيانًـا كثيـرة لحاجتـي للوقـت.. فإنـه أنفـاس لا تعـود.. و هـو أنفـسُ مـا عُنيـتُ بحفظـه.. فأخشـى أن أضيعـه مـع رقيـع لا يـدرك ممـا في نفسـي شـيئًا أبـدًا..

ثـم إنـي أجد نفسـي منتجة ناجحـة إذا كانت كالبركة السـاكنة من المـاء الراكد..

لأنني هادئ الطباع؛ ساكن العبارة، طويل النفس في تعاطي ما حولي من الأحداث..

و هذا كله في مجتمع سريع ويعيش بسرعة، وفي قرن السرعة، والوجبات السريعة ما تركت للباقي أثرًا، المراد من مقالي هذا: أنَّ أي حركة لبركتي النفسية تعكر صفوها، و تقلب صفحاتها الرائقة إلى أمواج عاتية، تعصف بكل شيء.

وصدق من قال:

أنا.. لا أحب تمثيل أدوار لا أعيشها بكل تفاصيلها.. سوى دورين:

- دور المتماسك..
- ودور المتغابي..

إنصاف: **لزوم الإنصاف ديدن أهل التوفيق، فلا هم يغمطون الناس حقهم، ولا هم يرفعونهم فوق قدرهم، ولكن ينزلونهم منازلهم..، وهذا منهج..**

السعادة تنبع من الداخل

جان باول.

«لقد وضعت ظروف الحياة على طريقي أناسًا من فئات الشعب كافة. وعديدون هم الذين أشركوني في معاناتهم الخاصة كما في نجاحاتهم في الحياة. ومن خلال تلك العلاقات كلها كوَّنت بعض القناعات عن السبل التي تبدو وكأنها تؤدي بالإنسان إلى السعادة.. وإلى جانب خبراتي مع الناس هنالك جهودي الخاصة في البحث عن السعادة. ولديَّ ذكريات عن نجاحي، وأخرى عن فشلي.

هنالك طرق تبدو رحبة، ولكنها تؤول إلى طريق مسدود. وهناك قمم يجب تسلُّقها خطوة خطوة، كما أن هنالك (فخاخًا) يسهل السقوط فيها.

عندما أستعرض ذكرياتي هذه تزيد قناعتي بأن السعادة حال في متناول الجميع، ولكننا عندما نبحث عنها في الخارج، فذلك يعني أننا نسلك طريقًا غير صحيح، فالسعادة كانت دائمًا وما زالت، من الأمور التي تنبع من الداخل.

وهناك استنتاج هام آخر: السعادة تأتي دائمًا كنتيجة لحدث ما، نتيجة عمل آخر نقوم به.

إن السعادة كالفراشة لا يمكن للمرء أن يتتبَّعها بشكل مباشر ليلتقطها، ولكن محاولات البحث عن السعادة بحد ذاتها

فاشلة لا محالة، إنه بإمكاننا البحث مباشرة عن غالبية الأشياء، والحصول عليها: المأكل والملجأ والمعرفة، ولكن الحال مع السعادة ليست هكذا، أنت تبلغ السعادة فقط من خلال (أمر آخر)..

وما هو هذا ((الأمر الآخر))؟ إنني بعد أن تأملت طويلًا في خبراتي، تكوَّنت لديَّ قناعةٌ بأن هذا ((الأمر الآخر)) يمكن تلخيصه في عشر مهمات أو ممارسات حياتية.. أنا أعرف أن منكم مَن سوف يزيد على تلك المهمات العشر أو ينقص منها.. لابأس، فليفعل ذلك بكل حرية، ولكن هذه اللائحة العشرية تشكل بالنسبة إلي((الأمور الأخرى)) التي يجب على المرء القيام بها ليختبر من خلالها السعادة في حياته؛ و هذه الأمور هي:

علىَّ أن أقبل ذاتي كما أنا.

عليَّ أن أتحمّل مسؤولية حياتي كاملة.

علـيَّ أن ألبي ما فيَّ من حاجات إلى الراحة و الرياضة و الغذاء.

عليَّ أن أجعل من حياتي فعل حبٍّ.

عليَّ أن أتحرر من أنانيتي.

عليَّ أن أتعلم كيف أبحث عما هو حسنٌ وإيجابي.

عليَّ أن أسعى في إثر النمو، لا الكمال.

عليَّ أن أتعلم كيف أتقن الاتصال بالآخر.

عليَّ أن أتعلم كيف أنعم بما هو حسن في الوجود.

عليَّ أن أجعل من الصلاة شأنًا من شؤون حياتي».

وصفة: **عليك بالتفاؤل؛ فإنه رقية النجاح، وترياق الفلاح..**

لذة اللذة

ما ألذ الجلوس على مقعد التعليم.. خصوصًا بعد أن كنت معلمًا.. إن هذا مما يدخل السرور على النفس، بل ويزيدها ابتهاجًا..

فإن الروتين القاتل لحياة البعض يكسره مثل هذا، وليس ذاك إلا لما يجده الإنسان من مخالفة العادة، وكسر القيد، فبعد أن كان سائلًا عاد مسؤولًا، وبعد أن كان يستأذن طلب هو الاستئذان.. طالما طرق عليه الباب، و ها هو اليوم يطرق الباب بيمينه..

إنها وربِّي اللذة التي ليست في المال، ولا الجاه، ولا الخمر..

رأيٌ في الوظيفة

رأيت أن الوظائف حابسة لبعض أهل الإبداع، معيقة لأهل الطموح.. وقد طالعت سير كثير من العلماء والأدباء فلم أجد أغلبهم في وظيفة..

بل طالعت كلامًا لطيفًا للعقاد يتأفف فيه من الوظائف، فقال في أوله: «إن أوقات العمل تملكنا»، وصدق، فهي قيود مفروضة، قد تكون قتلًا للإبداع بسكين الروتين المعقد.. بل بالغ في ذلك، فقال: «..الاستخدام رق القرن العشرين»..

ثم علل بتعليل فقال: ((وليس في الوظيفة الحكومية لذاتها معابة على أحد -وأنا أقول ذلك-، بل هي واجب يؤديه من يستطيع، ولكنها إذا كانت باب المستقبل الوحيد أمام الشاب المتعلم، فهذه هي المعابة على المجتمع بأسره..)) أ.هـ.

ففي زماننا لا يكون أمام ناظر هذا الشاب إلا الوظيفة، والوظيفة فقط، وهذا له معنى خطير في كبت النجاحات والإبداعات، والاختراعات، وصقل العقليات.

يقول أحمد الزيات: إن أولى الناس بالرثاء لأولئك الذين سُلِبوا جوهرةَ الحياةِ و حريةَ العيشِ، وعاشوا في ظلام الوجود مكبَّلين على مكاتبهم.أ.هـ.

ولكن الغالب على شباب هذه الأيام هو طلب الوظيفة

للمرتب والراحة سائر اليوم.. وهذا لا بأس به إن كان مستثمرًا لوقته فيما يعود بالنفع، ولكن الكثير خلاف ذلك..

وإنك لترى أحدهم وهو في شغل الفارغين، لا هَمَّ لَهُ، ولا عمل للدنيا، ولا للآخرة، فيمقته قلبك..

ومن أراد الفلاح فليطالع صحائف الإبداع والتميز والنجاح التي قدمها سلف هذه الأمة العظيمة.. وكثير منهم لم يكن على رأس عمل؛ بل وظيفتهُ: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات:٢٢] والراتب..

﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال:٢] والثمرة: ﴿ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾ [الطلاق:٣].

ثم إني في كلامي لا أدعو للتبتل وادعاءِ التوكل، وترك التسبب في هذه الدنيا، لا، ولكني أدعو إلى فتح مدارك العقل عند الشباب، وكسر حاجز الوظيفة عند صناع المستقبل، هذا ما أدعو إليه..، وإن وليِّتَ ولايةً؛ فاتق الله ما استطعت...

ثمرة: التفاؤل مقوٍّ للعزيمة، باعثٌ على الاجتهاد، والجد في العمل، مُسَمِّحٌ للنفس..

رصدًا

رأيت أنَّ في تقييد الفوائد، وكتابة التجارب، مَنْجَاةٌ من الإخفاق، ومفتاح الانعتاق من رق الخطأ، فألزمتُ نفسي كتابة تجاربي الناجحة، والفاشلة، وعيوبي، وأرصدها؛ رَصَدًا ..

حتى كادت تضايقني أوراقي ..، وقد جعلتُ كتابة ما يحدث لي من مواقف سُنّةً لي في حياتي .. وسترى النور؛ كلٌّ بحسبه ..

فمنها:

- تجارب علمية.
- تجارب بحثية.
- تجارب عملية.
- وتجارب أكاديمية.
- تجارب وظيفية.
- تجارب سلوكية.
- ذكريات مع أشخاص.
- ذكريات مع كتب.
- ذكريات مع مؤسسات.
- ذكريات مع أحداث.

ونحو ذلك .. فكونوا مني على حذر، فقد أكتب عنكم يوماً من الأيام، وما يُروى، وقد أكتب ما يطوى... فتأهبوا...

حرب: لا يحارِبُ الفِكْرَ.. إلا فِكْرٌ مثله..

لا أقول: لا

ومـن عيوبي: أننـي ضعيف عنـد [لا]، فلا يوشـك أن أرفض لأحـد طلبًـا، سـواءً أكانت مناسـبة اجتماعيـة، أو محاضـرة علمية، أم لقـاءات تربويـة، وغير ذلك، بل حتى للشـكاوى والاستشـارات وغيرها، وغيرهـا كثير..

ولـو كانـت ((لا)) ماثلـة بيـن عينـيَّ حيـن أعطـي القـرار؛ لوجدتنـي مـن أكثـر النـاس انتفاعًـا بوقتـي.

و [لا] تحتـاج نفوسـنا نحـن العـرب إلـى أن تُسـاس عليها.. فـإن العربـي يأنـف مـن قولهـا.. وإن قالهـا؛ صعبت عليـه حتى في لفظها .

وأنـا حيـن أقـول: لنتعلـم [لا]؛ لا أعنـي إلغـاء كل البرامج و النفـع المتعـدي والإحسـان للغير، ولكنـي أقول: نسـتطيع أن ننظمَ أوقاتنا بشـيء مـن الـ [لا]..

وأبشـركم أننـي تعلمـت [لا] فـي فتـرة وجيـزة بيـن عـام [١٤٣٢هـ] و[١٤٤٠هـ] عندمـا مارسـت الحيـاة بيـن أنيـاب الذئـاب ..

نعـم .. كنـت أرتكـب خطـأ فاحشًـا في حياتـي، وقـد تنبهت له متأخـرًا ...

وهـو أن الآداب المكتوبـة فـي بطـون الكتـب .. للأسـف تختلـف عـن الآداب المسـلوكة .. فـي شـوارع الحيـاة ..

حتى مع من ظاهرهم الصلاح، ومن كان الأصل فيهم السلامة .. للأسف ..

فأصبحت أردد .. «يا سلامُ سَلِّمْ» ..

المرأة:

المرأة دُرَّة..، ولو كررت اسمها ألف مَرَّة.. ميادينها في الحبِّ فسيحة.. وأجندتها في الحياة مريحة..، ولها في كتاب الحبِّ الصادق ألف صفحة..، وللرجل سطرٌ واحد مبتور..

سجين الفكرة

مصطفى صادق الرافعي.

«أشد سجون الحياة فكرة خائبة، يسجن الحيُّ فيها، لا هو مستطيع أن يدعها، ولا هو قادر أن يحققها، فهذا يمتد شقاؤه ما يمتد، ولا يزال كأنه على أوله، لا يتقدم إلى نهاية، ويتألم ما يتألم، ولا تزال تشعره الحياة أن كل ما فات من العذاب إنما هو بدء العذاب».

درجات: **لَعَلَّ الخطرة.. توحي بِهَمَّة.. والهَمَّةُ تقود الإرادة.. والإرادة تثمر عادة فتنبه..**

لحظة لذَّة

إن شعور الإنسان بالذلة من أجل التعرُّف على الله -عز وجل- شَرَفٌ، وأي شرف، والعلم الشرعي ابتداءً ثم العلم التجريبي يُعرِّفك على الله عز وجل.. وهذه لذَّة لا تعدلها في الدنيا لذة..

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ذللتُ طالبًا فعززت مطلوبًا.. وما معاناة العلماء في طلب العلم والرحلة إليه، وبذل النفائس من أجله، إلا صفحة من صفحات الذلِّ في سبيل الطلب، والتعليم والتعلم، فهنيئًا لمن عاش مع المحبرة إلى المقبرة، والله إن في العلم لذة هي أغنى من كل لذة، وإن فيه سعادة هي أوفى من كل سعادة.

صورة:

إن أجمل صورة في الوجود هي صورة زوجين سعيدين على أريكة الحب..

مجتمع العقول

رأيت أن في المشاورة خيرًا كثيرًا، وقديمًا قيل:

الرأي قبل شجاعة الشجعان..

وهي تلاقح أفكار، واجتماع عقول، لنأخذ خلاصتها، وعصارة ما فيها في هذا الباب..

شـــــاور ســـــواك إذا نابتك نائبة

يومًا وإن كنت من أهل المشورات

وإجماع العقول على مسألة ما، فيه شيء من الطمأنينة على القطع بالحكم في الأمر، ولو كان الأمر يقتضي الحزم.

﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى:٣٨].

ومن شاور الناس شاركهم في عقولهم، وقد غامر من توحد برأيه، ومن لزم رأيه كان مظنة الضلال، ومن شاور كان مظنة التوفيق لسلوك الطريق..

خصائص من تشـــــاوره ثلاث

فخذ منهـــــا جميعـــــا بالوثيقة

ودادٌ خالـــــصٌ ووفـــــورُ عقلٍ

ومعرفـــــة بحالـــــك والحقيقة

فمن حصلت له هـــــذي المعاني
فتابع أمـــــره والـــــزم طريقه

يقول الزمخشري:

نصف رأيك مع أخيك فاستشره..أ.هـ.

والمشـورة عيـن الهدايـة، ورأيـان خيـر مـن واحـد... وأول الحـزم المشـورة..

يقول هارون الرشيد رحمه الله: من شاور كَثُرَ صوابه..

فتحصـن مـن الندامـة بالمشـاورة، وتـدرع مـن الملامـة بها تجـد خيـرًا عظيمًا..

غربة:

مـا أوجـع مضاربـه، وأكثـر مثالبـه، وأشـقى مناقبـهُ.. لا يضـرب إلا فـي الوتيـن، ولا يثلـب إلا بنيـان الحـب والأنـس الدفيـن.. إنـه سـيف الغربـة.. فيـا بؤسـاهُ للمغتربيـن..

عندما أطرب

ومن عيوبي: أنني أهتز وجدانيًّا..

بل وأطرب عاطفيًّا.. ويترك الموقف الوجداني في قلبي ندوبًا قد لا تزول ولا تحول.. [وما حالي...] إلا كما قال الحمداني:

أقول وقد ناحـــــت بقربي حمامةٌ
أيا جارتي هـــــل بات حالك حالِ

معاذ الهوى ما ذقت طارقة النوى
ولا خطرت منـــــك الهمومُ ببالِ

وما ذاك إلا أنني في الغالب أتعامل مع الناس بمبدأ الورقة البيضاء..

وهذا المبدأ وإن كان مريحًا لي..

إلا أنه قد يجلب لك بعض المتاعب ممن لا يقدر الأمور بِقَدرِها..

فأنت في هذا الطريق تقابل الانتهازي الذي يظن أنه ربح الموقف.. أو تمكن من الاحتيال عليك..وأنت مع هذا تشفق عليه؛ لعلمك ببرودة وجهه.. وسخف شخصيته وانتهازيته.. ومع ذلك فأنت تتعامل معه بمنهج «أَمِرُّوها كما جاءت».

لأنك لو رددت على هذا الشيء؛ لأصبح كل مثقال من حجارة الرد بدينار كما في المثل.. وتقابل في هذا الطرق الأفاك الأثيم.. رجل جعل الكذب منهج حياته..

فهو كذوب وليس بذكور.. فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق.. ثم ينساها، أو يأتيه ما ينسيه من تراكم الكذبات.. ثم إذا سُئل عنها أجاب كذبًا.. وهذا وأمثاله يجني عليه لسانه في الدنيا والآخرة..

ولو نصحت، ثَمَّ نصحت وأدبتَ، ثَمَّ أدبت، رأيته على ما هو عليه من الكذب والمكر والمحايلة.. ومنهجه.. «كن ذئبًا وإلا أكلتك الذِّئاب».

وتقابل في هذا الطريق المجامل المتملق الذي يكذب ويعرف أنه يكذب.. ويعرف أنك تعرف أنه يكذب.. ومع ذلك هو على جادته.. فيحيا لجلد الفاجر وعجز الثقة..

وتقابل في هذا الطريق الصادق.. وما أقلهم، فهذا زمن شكت الفضيلة من طغيان الرذيلة.. بل عاد الصادق في الناس معيبًا لا ينقي.. بل ولا يَحْسُنُ الجلوس معه كل هذا لأنه صادق، فلا يذكرك هذا إلا بقول الله عز وجل عن نبي الله لوط -عليه السلام- والصلحاء معه على لسان قومه: ﴿أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل:٥٦].

فعاد المدحُ ذَمًّا وأصبحت الطهارةُ عيباً في زمن زادت فيه العفونات.. وعَمَّتْ فيه ثقافة القاذورات ..واستطالت فيه نفوس مَن خذلهم الله.. حتى عاد الحق باطلًا.. والباطل حقًّا.. نعوذ بالله من الحور بعد الكور..

والمراد ذلكم الصادق في زمن عَجَّ بالمجاملات الكاذبة.. وبالكذب الصُّراح.. وبالبهتان الأثيم.. يا له من صابرٍ علي فضيلة الصدق.. وما زال يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب بإذن الله عند الله صِدِّيقًا..

وحقيقة حينما تتعامل مع هذه الأصناف وهذه الأنواع من الناس بمبدأ الورقة البيضاء ترى مكنونات عيوب أهل العيب منهم..

وتطالع بالمقابل محاسن أخلاق من وُفِّقَ لحسن الخلق منهم.. فتكون بين كفتين لا ثالث لهما.

فتحمد الله الذى وفقك لأن تكون شوكة الميزان.. بين هاتين الكِفَّتَين.. منتفعًا من إحسان الْمُحسن بالإتيان إلى أحسن ما أتى به.. و بإساءة المسيء بتجنب أسوأ ما أساء به..

وكم جنت هذه الورقة البيضاء على نفسيَّتي من جنايات.

فليت شعري هذه الدنيا لمن؟؟!!

عيش وَ عيش:

كثيرٌ هم الذين يعيشون من أجل بطونهم..، والقليل هم الذين يعيشون من أجل قلوبهم..

نافذة على حياتي

الأستاذ: أحمد أمين.

لقد كتبت مرَّة مقالًا في وصف صديق، وكنت أستملي وصف هذا الصديق من نفسي، إذا عنيت به شخصي، وقد جاء فيه :

لي صديق اصطَلَحَتْ عليه الأضداد، وائتلفت فيه المتناقضات سواء في ذلك خلقه و علمه.

حييٌّ خجول، يغشى المجلس فيتعثر في مشيته، ويضطرب في حركته، ويصادف أول مقعد فيرمي بنفسه فيه، ويجلس وقد لفَّ الحياءُ رأسَه، وغض الخجلُ طرفَه، وتُقدَّم له القهوة فترتعش يده، وترتجف أعصابُه، وقد يداري ذلك فيتظاهر، أن ليس له رغبةٌ فيها، ولا به إليها حاجة، وقد يشعل لفافته فيحمله خجله، أن ينفضها كل حين، و هي لا تحترق بهذا القدر كل حين .

وقد يهرب من هذا كله فيتحدث إلى جليسه لينسى نفسه وخجله، ولكن سرعان ما تعاوده الفكرة فيعاوده الهرب، حتى يحين موعد الانصراف، فيخرج كما دخل، ويتنفس الصعداء بعد أن أدركها الإعياء. من أجل هذا أكره شيء عنده أن يشترك في عزاء أو هناء، أو يدعى إلى وليمة، أو يدعو إليها، إلا أن يكون مع الخاصة من أصدقائه..

يحب العزلة لا كرهًا للناس، ولكن هروبًا بنفسه.

ثم هو مع هذا جريء إلى الوقاحة، يخطب فلا يهاب، ويتكلم في مسألة علمية فلا ينضب ماؤه ولا يندى جبينه، ويُعرض عليه الأمر في جمع حافل، فيدلي برأيه في غير هيبة ولا وجل، وقد تبلغ به الجرأةُ أن يجرح حسَّهم، وينال من شعورهم، و يرسل نفسه على سجيتها، فلا يتحفظ ولا يتحرز.

يحكم من يراه في حالته الأولى أنه أشد حياء من مخدرة، ومن يراه في الثانية أنه أجرأُ من أسد، أصلب من صخر، ومن يراه فيهما أنه شجاع القلب، جبان الوجه .

وهو طموح قنوع، نابه خامل، تنزع نفسُه إلى أسمى المراتب فيوفر على ذلك همه، ويجمع له نفسه ويتحمل فيه أشق العناء وأكبر البلاء ..

ولو استعرضت حياتي من أوَّلِها إلى آخرها؛ لكانت (شريطًا) فيه شيء من الغرابة، وفيه كثير من خطوط متعرجة، فما أبعد أوله عن آخره، و ما أكثر ما فيه من مفارقات، وتغير في الاتجاهات، ومخالفة للاحتمالات، فمن كان يراني وأنا في مدرسة أم عباس الابتدائية يظن أنني سأكمل دراستي الابتدائية والثانوية، وقد أكمل الدراسة العالية، وأشغل الوظيفة التي تتفق ونوع الشهادة: معلمًا، أو قاضيًا، أو مهندسًا، أو نحو ذلك، ثم تغير هذا الاتجاه فجأة إلي الأزهر، فمن كان يراني في الأزهر، يظن أني إما أن أنقطع عن الدراسة فأكون إمامًا في المسجد، أو مدرسًا في مدرسة أهلية، أو نحو ذلك.

أو أتممها؛ فأكون عالِمًا في الأزهر، له كرسي بجانب عمود من عمده، يجلس عليه بعمامته الكبيرة، وجبته الواسعة، يشرح المتن والشرح والحاشية.

ثم تغير هذا الاتجاه أيضا فجأة إلى مدرسة القضاء؛ فكان أكبر الظن أن أكون كزملائي قاضيًا شرعيًا، يتنقل في مناصب القضاء حتى يكون رئيس المحكمة الشرعية العليا، أو قريبًا منه، ولكن تغير أيضا هذا الاتجاه؛ فاتصلت بالجامعة، وكنت أستاذًا بكلية الآداب، وعميدًا لها. وتغيَّرت عقليتي تبعًا لهذا التغير، فلم تعد عقليتي تنسجم مع العقلية الأزهرية؛ بل ولا مع زملائي من مدرسة القضاء.

ومنذ قليل قابلت صديقًا كان من أحب الأصدقاء إليَّ في مدرسة القضاء، وأقربهم إلى عقلي، فحادثته وأطلت الحديث معه، فإذا أنا في وادٍ وهو في واد.

وكم من الفروق بين معيشتي الأولى ومعيشتي الأخيرة؟! وأن الفرق بينهما -كما قال الجاحظ- كالفرق في بيت امرئ القيس إذ يقول:

تقول وقد مال الغبيـــــط بنا معًا
عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل

وقول علي بن الجهم:

فبتنا جميعًا لو تـــــراق زجاجة
من الخمر فيما بيننا لم تســـــرّب

كنت في البيت كالذي وصفته -أولًا- في منتهى السذاجة والبساطة، لا ماء في المواسير، ولا آلة من آلات المدينة الحديثة، فأصبحت أسكن في بيت فيه الحديقة، وفيه أثاث المدينة الحديثة... وفيه الراديو والتليفون، وما إلى ذلك.

ولم أركب القطار في حياتي الأولى، إلا وأنا في السادسة عشرة من عمري، ركبته إلي طنطا؛ فحزنت وبكيت، وفي آخر حياتي ركبت الطيارة من القاهرة إلى لندن، وأنا مسرور ومبتهج. وكنت أمشي على رجلي من بيتي في المنشية إلى الأزهر، وأعود من الأزهر ومعي منديل كبير فيه (الجراية) أنقله بين يدي اليمنى ويدي اليسرى، ومن كتفي اليمنى إلى كتفي اليسرى، فأصبحت أنتقل حتى المسافات القصيرة في سيارة.

و كان أبي يعلمني في كُتَّاب كالذي ذكرت، فأصبحت أُعلِّم أولادي في رياض الأطفال وما إليها، ولا يعجبهم أن يتنقلوا في الدرجة الاولى في الترام والأتوبيس، ويطلبون سيارة يتنقلون بها، و كنت أضرب على الشيء التافه الصغير فأحتمل، ولا أثور ولا أغضب، فصار أبنائي يغضبون من الكلمة الخفيفة و العتاب المؤدب، وكنت لا أؤاخذ أبي على حرماني من الضروريات، فصار أبنائي يؤاخذونني على حرمانهم من الإسراف في الكماليات.

وكنت وصرت... مما يطول شرحه، فما أكثر ما يفعل الزمان؟!.

لقد بدأتُ في شبابي أرسم حياتي المستقبلية من خيالي، وأرسم الْمُثُلَ العليا لي في خلقي ومسلكي وإصلاحي، ثم

اصطدمت هذه الْمُثُل بالواقع، وبالبيئة التي حولي، وبالصعاب التي صادفتني، وبكثير من الناس أخلفوا ظني[1]، كل هذا وأمثاله كان يأكل من البنيان بنيته للمثل الأعلى الذي وضعته.

لقد حاولت أن أقف أمام هذه التيارات، ولكني لم أستطع أن أثبت في مركزي، فجرفني التيار معه قليلًا أو كثيرًا، ومن أجل هذا كنت في شبابي خيرًا منى في شيخوختي، وفي أول عهدي أكثر تفاؤلًا منى في آخر عهدي.

لَكَم تمسكت في شبابي بالمبدأ وإن ضرَّني، واستقلت من عملٍ يدر علىَّ الربح؛ لأني رأيته يمس كرامتي، وبنيت آمالًا واسعة على ما أستطيعه من إصلاح، وما أحقق من أعمال، ثم رأيت كثيرًا من هذه الآمال يتبخر، وما أنوي من أعمال يتعثر، و ها أنذا في شيخوختي قد أقبل ما كنتُ أرفض، وقد أتنازل عن بعض المبادئ التي كنت ألتزم، فالوسط وأحاديث الناس، وكثرة الأولاد، وتوالي العقبات، وضعف الإرادة بطول الزمان قد تضطر الإنسان إلى التنازل عن بعض مُثله العليا، ويعجبني قول من قال:

عصيت هوى نفسي صغيرًا وعندما
رماني زماني بالمشـــــيب وبالكبر

أطلعت الهوى عكس القضية ليتني
ولدت كبيرًا ثم عدت إلى الصغر

(١) الله كم أخلفَ ظني على هذه البسيطة صديق حميم، وزميلٌ ودود، وجارٌ كالصاحب، وقريب كالنفس، ومشيرٌ بغير خير..، ولكنها مدرسة الحياة.. وما أدري لعل الخلل مني أنا.

ومع هذا؛ فإني أحمد الله إذ منَّ عليَّ بالتوفيق في أكثر ما زاولت من أعمال: فيما ألفت من كتب في عملي بلجنة التأليف، في الجامعة الشعبية في الجامعة المصرية، في عمادة كلية الآداب، كذلك كان الشأن في حياتي الأدبية والمالية والعائلية: نِعَمٌ من الله، لا أستطيع أن أقوم بالشكر عليها.

وهي ظاهرة يصعب تعليلها العقلي، أو تفسيرها بالتحليل الاجتماعي والنفسي.

فكم رأيتُ من أناس كانوا أذكى مني، وأمتن خلقًا، وأقوى عزيمة، وكانت الدلائل تدل على أنهم سينجحون في أعمالهم إذا مارسوها، ثم باؤوا بالخيبة، ومُنوا بالإخفاق، ولا تعليل لها إلا قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢١]. أ.هـ.

لحظة طلب

حياة الطالب حلوة.. فهو بين علم ومعرفة، إما حافظًا، أو مناقشًا، أو ناسخًا، أو مقابلاً للمنسوخ على أصله، أو معارضًا لذلك بما عنده، فهو يتقلب في سعادات الروح، إذ أن من سعادات الروح إثراؤها بالمعرفة.. غير أن الدنيا ومشاغلها قد تصرفه عن ذلك، مما يبعده عن تعاهد أيام التلقي، حتى يكاد يجفُّ النهر، فإذا شاء الله وعاد الشيخ تلميذًا وجد هذه اللذة المفقودة، وعوَّض نفسه..

سهري لتنقيح العلوم ألذُّ لي
من وصلِ غانيةٍ وطيبِ عناقِ

أأبيتُ سهرانَ الدجى وتبيته نومًا
وتبغي بعدَ ذاكَ لحاقي

فراغ:

الفارغ من أحَطِّ الناس منزلة في دنيا النجاح.. والفراغ أنواع؛ أخطره وأعسرهُ: «الفراغ القلبي».. وهو فراغ القلب من هيبة الربِّ جل وعز..

تعميم

رأيت أنَّ من الخطأ التعميم، وليس أخطر على الذهن من إطلاق اللسان بالكلام، وبتعميم الأحكام، فإن الذي يعمم الكلام على كل الأنام يتجاهل مواهبهم ومقدراتهم وعقولهم، بل ويفرض السيطرة الفكرية عليهم، وليس هذا لأحد من الخلق..

وقاعدة التعميم في كل شيء، وعلى كل شيء، محض الجور.. فهي اكتساح للعقول المحترمة..

ولذا فإن الحصيف العاقل اللبيب يحترم عقول الآخرين، بل ويُقدرها حق التقدير، وإذا كان هناك تباين في وجهات النظر؛ فإن الحوار هو الحل الصحيح، والمصارحة، والمناصحة..

أما المناطحة؛ فهي وظيفة (التيوس) حين تقف بين أقرانها...

تعمدني بِنُصحكَ في انفرادِ
وجنبني النصيحةَ في الجماعة

فإن النصح بين القومِ نوعٌ
من التوبيخِ لا أرضى استماعه

فإن خالفتنـــــي وعصيتَ أمري
فلا تحـــــزن إذا لـــــم تُعْطَ طاعه

والمقصـود: أن دحـض الحجـج، وبيـان الأدلـة والبراهيـن بـروح الشـفيق الرحيـم، وبنبـرة الناصـح الخافتـة، مفتـاح لكسـب الـرأي الآخـر، وعلـى الأقـل ولـو أن يكـون عنصـرًا محايـدًا...

ثم إن ما لا يعقل من كلام الخَلق لا ينقل.. صيانة ورصانة.

وفـي المثـل الإنجليـزي: كل تعميـم هـو خطـأ بمـا فيـه هذا التعميـم..

شرفاء: **الشـرفاء وحدهـم هـم أهـل بضاعـة المبـادئ فـي زمـن عَجَّـتْ فيـه المـادة..**

قانون القراءة

ومن عيوبي: كثرة الإغراق في القراءة دون الموازنة مع المجتمع المحيط بي.. مما يكسبني صدمات نفسيَّة.. ورجع روحي مؤلم..

وما ذاك في ظني إلا لأني أتجول في عقول الحكماء.. بل في زُبَد عقولهم، وأرتع في مرابع قولهم..

ثم أنزل إلى المجتمع والشارع العام، فأجد الكَذَّاب والمرائي والمحتال، والفاسق والخائن، ومن يكذب ليكذب فحسب.. ومن يبتز الناس عاطفيًا، أو سلوكيًّا، أو ماديًّا، أو فكريًّا...

وقس على هذا: من الهراء والتملق لأصحاب الوجهات والمناصب، والتزلف لأصحاب الشارات والكراسي، وإراقة ماء الوجه لقومٍ لا ينفعون ولا يضرون.. وكل هذا مع الغفلة عن تدبير رب العالمين..

فتجدني أنوء بهمي، وأقف في حيرة من هذا المجتمع المتناقض.. بين ما يدعو إليه في ثقافته.. وما يأمره به ربه.. وبين تعامله الساذج السامج.

إن عقولًا لا تُقدِّر مصادر تلقيها لثقافتها، ليست جديرة بالاحترام.. فكيف بعقولٍ تناقض ما تقول، وهي تعلم ذلك.. ليت شعري هذه الدنيا لمن؟؟!!

فرقٌ.. وأيُّ فرقٍ

الأستاذ: أحمد أمين.

«فـرق كبير بيـن أن ترى الـرأي وأن تعتقـده، إذا رأيت الرأي؛ فقـد أدخلته فـي دائـرة معلوماتـك، وإذا اعتقدته: جـرى في دمك، وسـرى في مـخ عظامك، وتغلغـل في أعمـاق قلبك.

ذو الـرأي فاتر أو بارد، إن تحقق ما رأى ابتسـم ابتسـامة هادئة رزينـة، وإن لـم يتحقـق مـا رأى؛ فلا بأس، فقـد احترز مـن قبل بأن رأيـه صـواب يحتمـل الخطـأ، ورأي غيـره خطأ يحتمـل الصواب، وذو العقيـدة حار متحمِّـس، لا يهـدأ إلا إذا حقَّق عقيدته.

ذو الـرأي سـهل أن يتحـول ويتحـوَّر، وهـو عنـد الدليـل، أو عنـد المصلحـة، تظهـر فـي شـكل دليـل، أمـا ذو العقيـدة؛ فخيـر مظهـر لـه ما قاله رسـول اللـه صلى اللـه عليه وسـلم: «لـو وَضَعُوا الشـمسَ فـي يمينـي، والقمـرَ في شـمالي، علـى أن أدَعَ هـذا الذي جئـت به؛ مـا تركتُـه»..».

لحظة مع العنقاء

نَقَّبْتُ عنه.. بحثت، وبحثت.. والله إلى الآن لم أجده.. قد يلوح لك سؤال.. من هو؟!!

إنه الخِل الوفي.. فوالله ما العنقاء عنيتُ..

ولا عجائب الدنيا..

سواء أكانت سبعًا أم تسعًا..

لا والله.. إنه الْمُشَاكِل.. والخِلُّ الوفي..

صحيح أن في هذا الكون فضلاء ونبلاء، ولكن لكل منهم حَدٌّ... ولأمجاده الأخوية عدٌّ.. إنك لتشعر بغاز الوحشة يمنعك عن تنفس هواء الوفاء.. في دنيا الصداقات..

بيع: من أجلها بيعت مبادئ وظهر الكذب..، وفشى الزور..، وانتشر الجشع، والطمع..، والغش والحيلة..، إنها عضلة المعدة، ولو شبعت؛ لجاعت العين لما ألفتهُ من معاني الجوع...

محكمة العدل

رأيتُ أنَّ الحب ظُلِم في هذه الحياة الدنيا، وهو أطهر من هذه الأطمار البالية التي ألبسه إياها أهل النخاسة العالمية، وبيع الأعراض والمتاجرة بها.. فهو كلمةٌ سامية ..

وقد ظُلم أيضًا من كثير مِنَّا، فلا يكون الدافع في الغالب لهذا الشعور إلا جنسيًّا، ونسينا ثمرته في الحياة، لولاه لما كان العطف والحنان، ولما كانت الألفة والمودة.. والصدق والرحمة...

إن المحـــــبَّ إذا أحـــــبَّ حبيبَهُ
تلقَّاه يبـــــذل منهُ مـــــا لا يُبْذَلُ

وتذكر أنه عاطفة بريئة، وأننا بقدر ما نُحِبُّ نُحَبُّ..

يقول أحد المفكرين: نحن نغفر ما دمنا نحب.. أ. هـ .

وصدق؛ فإن الحب مادة التسامح، وروح التعاون، وواسطة عقد السلام..

ولذا فإن الحب والسعال لا يمكن كتمهما أو إخفاؤهما أبدًا.. كما قيل..

فهيَّا إلى حبٍّ طاهر، ووِدادٍ صادق؛ لنعيش في أمان نفسي، ورضى عن الذات، وإحسان إلى الآخرين.. وتسامحٍ روحي.. وسلام وإسلام، والسلام..

أسير بلد كُنَّاش

مـن عيوبـي: عـدم تقييـدي لتجاربـي ومواقفـي الحياتيـة.. ولـو صنعـتُ ذلك؛ لرأيـت الدفاتـر والكنـاش والأقلام قـد لا تفي بمطلبي .

ولسـتُ إلا كمـا قـال الطنطـاوي -رحمـه اللـه -: أتـرك مـا يُطلـب منـي إلـى آخـر اللحظـات، ثـم تجدنـي أقفـز لإتمامـه كما تقفـز الأرنـب.. علـى عَجـلٍ ووجـل.. ثـم يتـم، لكـن ليـس علـى المـراد..

وهـذا العيـب مـن العيـوب التـي حاولـتُ التخلـص منهـا.. وأنَّـى لـي ذلـك، غيـر أنـي قَلَّصـتُ منـه قليـلًا قليـلًا[1].

والحمـد للـه تأتـي فـرص أُسـمِّيها: «فرصـة الصفـاء»، وهي فـرص لصفـاء الـروح والذهن..

وإقبـال العاطفـة علـى القلـم، فأكتـب شـيئًا أرجـو أن يكـون نافعًـا لي ولغيـري ..

فأمَّـا نفعُـه لـي.. فـذاك: أن الكتابـة لـي كالمرهـم للجريح.. وهـي بـوحٌ نفسـي.. وترويـحٌ روحـي لـي.. إذا كتبـتُ وجدتنـي منشـرح البـال، طيـب الحـال.. وإذا تأخَّـرت، حزَّ ذلـك في صدري حـزَّ المواسـي حتـى أكتب..

(١) أبشركم ولله الحمد.. بدأت أقيدُ للتأريخ أحوال من حولي، أعتبر بها، ولعلكم تجدون فيها ما ينفعكم..

وأمَّـا نفعُـه لغيـري.. فهـو يأخذها بـاردةً مبردة، بـلا جهد ولا عنـاء، ولا تجارب خاسـرة..

ويقف حيث وقفت.. ويبدأ من حيث انتهيت.. ويضاعف ما نجحتُ فيه.. ويجتنب إخفاقاتي..

وكلنا خطاء.

شروق:

كلُّ نفـس لـم تشـرق معانـي الحـب فيهـا؛ فهـي نفـس مملـة.. كزجاجـة الخـروع..

حائط المبكى

اتصلت بي امرأة قبل زمن، وقالت: إني أحبك!!! سبحان الله، و ماذا فيني يحب؟!! قالت: أنا معجبة بأسلوبك.. قلت: لو رأيتيني لتنازلت عن هذا الإعجاب..

قالت: حتى وإن وإن..

قلت: ولم هذا الإعجاب الخلَّاب..

قالت على استحياء: ما وجدت في هذا الكون أحدًا يفهم مشاعري وأحاسيسي.. إلا أنت!

وأخذت تفيض من المعاني العذاب ما يفوق الحصر والحد..

فقلت: على رسلك، فهناك خطوط حمراء حدها لنا ديننا الحنيف.. فلا تعتدي..

قالت: صدقت..

وأخيرًا: اكتشفت أنني بركة كبيرة لرمي مخلفاتِ الهموم والغموم، وحائطًا للمبكى..، كما سمتني زوجتي سامحها الله..

حساب: **الحكماء من الناس هم الذين يحسبون حسابًا لمآلات الأمور..**

رأي في الفتن

رأيت أن المخرج من الفتن المضلة.. في أمور منها..:

الصمت، وقد قيل: الصمت حكمة، وقليل فاعله.. فالسكوت مفتاح للسلامة في الفتن..

والله ما نطق أحد في فتنة إلا ندم، فالصامت خير من المتكلم، والجالس خير من الواقف.. لأنها فتن..

والصمت حبسٌ للنفس من الخوض في الفتن.. ثانيها: من تَكَلَّم في الفتن، وأكثر من ذلك؛ فاحذر منه.. فإنما هو صاحب هوى.. أو جاهل لا يعقل.. أو مرتزق ضال.. فاعتزله، فإن العزلة في الفتن محمودة، ويوصي بها كثير من أطباء القلوب... فتنبه!

ثالثها: انظر ما عليه جماعة المسلمين وإمامهم وكن معهم... فإنَّ سبيلهم سبيل أهل الإيمان.

وعليك بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة.. ولا تكن ممن شذ.. فإنما الشذوذ نكد.. ونفرة.. وليس من طباع أهل الإيمان.

رابعها: الالتفاف حول العلماء والقرب منهم، والصدور عن رأيهم، فإن الفتن منكشفة عند آرائهم.. زائلة عن أذهان العامة ببيانهم..

خامسها: لزوم الدعاء، وقرع باب السماء، ومناجاة الرب جل وعز، بأن يهديك سواء السبيل..، وأن يعصمك من الزلل في الفتن..، وأن لا يجعلها في دينك، فكل ما سوى الدين يهون...

سادسها: نبذ العواطف والميول النفسية، والنظر بعين العقل والإدراك، فإن ذلك من شيم أهل الفطنة.. أما الغدو والرواح خلف العواطف الجياشة؛ فهو مأساة ما بعدها مأساة، ويخشى على صاحبها أن يكون صاحب هوى يتبع هواه... بيد أن العاقل الحصيف لا يقع له أمر - فضلًا عن فتنة- إلا وتأمله وتأمل الحلول، وطرحها وراجع فكره، في سلبياتها، وإيجابياتها، واستشار واستخار، ثم أقدم...

سابعها: إدراك المعاني المترتبة على أفعال الإنسان من خير وشر، وأنه مجزيٌّ محاسب، فإن أدرك ذلك، فإنه يزجر نفسه ويلجمها عن ما ليس لها فيه شأن...

ثامنها: التميز بالسكينة والهدوء.. والتثبت من كل خبر يشاع.. قال الأصمعي -رحمه الله-: مررت بقوم قد اجتمعوا على رجل يضربونه، فقلت لرجل من القوم يضرب بهمة: « ما حال هذا؟» قال: «والله ما أدري ما حاله..، ولكني رأيتهم يضربونه؛ فضربته معهم لوجه الله، وطلبًا لمثوبته!!!»..

وأنا أقول...هل تكون بمنزلة هذا المحتسب؟!..إياك ثم ...إياك..

تاسعها: إرجاع الأمر لله ورسوله كتابًا وسنة.. وفهمهما فهمًا صحيحًا بفهم سلف الأمة.. ولا تنسى

﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء ٥٩]. ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء ٥٩].

لأن الصدور في الفتن عن الكتاب والسنة دافع للطمأنينة، وسلامة الصدر، والثقة بالقرار، ولا أصدق ولا أوثق من كتاب ربنا جل وعز وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم..

عاشرها: مطالعة أحاديث الفتن في كتب الحديث، ومطالعة كتب التفسير التي شرحت كثيرًا من النصوص في هذا الباب.. فإن هذا أحسن وأجمل وأكمل، للطريقة والمنهج.. إذ إن القارئ في هذه الأبواب.. يُكَوِّنُ بنيةً تحتيةً، وقاعدة في الفهم عريضة تُخَوِّلُهُ بعد توفيق الله للاهتداء واتخاذ الحلول الصحيحة في الفتن...

الحادي عشر: البعد عن الذنوب، ونقائص التوحيد، إذ إنها مفتاح للفتن على قلوب العباد.. وتركها مغلاق للفتن.. وهذا من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام ٨٢]. فالذين آمنوا ولم يخلطوا إيمانهم بظلم أكبر وهو الشرك، ولا بظلم أصغر وهي الذنوب، ونقائض التوحيد، لهم الأمن الحسي والمعنوي والنفسي في الدارين، وهم مهتدون.. أي: موفقون للهداية والثبات، ولزوم جادة الصواب في الفتن..

الثاني عشر: قبول الطرف الآخر في الحوار، ومقابلة الحجة بالحجة، وهذا من أبواب الجهاد العظيمة، وفيه سر لأبواب كثيرة من الفتن، ولا أدل على هذا من فعل ابن عباس

-رضي الله عنهما- مع الخوارج؛ فرجع كثير منهم عما فتن به..

وللحوار شروط وضوابط ذكرها أهل العلم ليس هذا مجال ذكرها، ولكني أنصح بمطالعة أدب الحوار في «مظانها»..

الثالث عشر: رياضة النفس على الصبر، وحبسها عن المحرمات، وعلى الطاعات، وعلى أقدار الله المؤلمة، ففيه خير كثير للنفس من الفتن، وأفضلُ الصبرِ ما كان اختيارًا..

الرابع عشر: تربية النفس على التفاؤل وحسن الظن بالله جل وعز.. فهو الباعث للنفس على الرضى بالقضاء، والصبر والثبات في الأزمات، ورجاء العوض من الله جل وعز، وهو القاطع للغليل، الشافي للعليل، الدافع للبائس الكليل، به تطيب النفوس، وتقبل على عملها وصبرها وجلدها بقوة الإيمان، فهو الكلمة الطيبة، وهو الباعث الحثيث للنجاح، وتجاوز مهاوي الضياع..

عسى فرجٌ يكون عسى
نؤملُ نفسنا بعسى

فلا تجزع إذا حصلتَ
همًّا يقبضُ النَّفَسا

فأقربُ ما يكونُ المرء
من فرج إذا يئسا

والتفاؤل في الأزمات مُؤذِنٌ بانكشافها، وزوال عوارها، وكسر أغلالها، واقتحام سهولها ورمالها... وزيادة الهمِّ مفتاح الفرج، وطول الغم وتراكمه دليل النجاة، والنجاح... فلا تيأس... ولا تبأس... فإن اليأس لا يليق بالكبار..

وهو انتحار للقلب، بل هو أكبر القَتَلَةِ للأمل..

وكن متفائلًا بَسَّامًا في وجه الفتن، يطيب قلبك، ويرضي عنك ربك.. وتخرج بنتيجة إيجابية... متميزة..

فما فاز إلا المتفائل، وما نجح إلا المؤمل..

الخامس عشر: العلم المضاد للجهل.. ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ﴾[القصص:٨٠]، ﴿ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٩].

والعلم يجلو العمى عن قلبِ صاحبهِ
كما يجلي ســـــوادَ الظلمةِ القمرُ

وفي الأثر: «فقيهٌ واحد أشد على الشيطان من ألف عابد»، «العلماء ورثة الأنبياء»..

بالعلم تُكشف الفتن، وتُعرف المحن قبل اشتدادها.. فإن أهل العلم يعرفونها.. إذ قام سوقها، وإن الجهلة والسوقَة والعوام لا يعرفونها إلا إذا أدبرت، فالعالم يرى بنور من الوحي، ويهديه الله سبيل السلام، فيجنبه الفواحش والآثام، وتنكشف له الفتن والمحن و الآلام، فيعرفها ويُحَذِّرُ منها ويحذرها..

هـذه عناصـر فـي موقـف المسـلم مـن الفتـن، رأيـت نفـع نفسـي وإخوانـي بهـا..

وأختـم بـكلام نفيـس ابـن تيميـة إذ يقـول: «ولا يكـن قلبـك مثل الإسـفنجة يتشـرب كل شـيء، بـل اجعلـه مثـل الزجاجة ترى الحقائـق مـن ورائهـا، ولا يدخلها شـيء»..

وختامًا..

فـإن تـرك الفتـن واعتزالهـا والبعـد عـن مواطنهـا خيـر مـن معالجتهـا، وجعـل الحلـول للهـرب منهـا..

ثـم إن الفتـن مـن أعـداء السـعادة، والأمن النفسـي فـي هذه الدار.

وفـي الحديـث: «لا تتمنـوا لقـاء العـدو، واسـألوا اللـه العافيـة».. نسـألُ اللـه العافيـة..

لقمة هنية

و مـن عيوبـي أنـي لا أسـتمتع بـالأكل فـي الأماكـن العامـة فضـلًا عـن الأماكـن المزدحمـة.. وهـذا فيـه مـا فيـه مـن التعـب النفسـي لرجـل يطلـب مكانًـا هادئًا بعيـدًا عـن الأنظار يتـوارى فيه ليسـتمتع بأكلتـه، هـو ومن يجلـس معـه.. كل هذا في زمـن كثرت فيـه المطاعـم السـريعة.. وزادت فيـه دور الطعـام العائلـي.. وكثر إلحـاح الأطفـال على مشـاكلة بني جنسـهم. فيأكل الإنسـان أحيانًا لا ليسـتمتع بـالأكل.. بل ليُسـدَّ جوعـةً ألمت به فحسـب.. فالحياة لا تصفـو إلا لجاهـلٍ لا يعتبـر لأحد اعتبـار.. أو لفاسـق يرى كمال لذَّتـه فـي إظهار فسـقه.. نسـأل اللـه العافيـة.. أو غافل عـن الناس مشـتغل بذاته.. ولسـت واللـه ولله الحمـد من هـؤلاء.. ولا أزكي علـى اللـه أحـدًا.. فالحمـد لله علـى كل حـال.. وصدق مَـن قال:

تصفو الحيـــــاة لجاهل أو غافل

أو فاســـــق متجاهـــــر العصيان

تجربتي الثمينة والقاسية

الأستاذ: ديل كارنيجي.

«عندما قدمت إلى نيويورك في بادئ الأمر من مزارع الذرة في ميسوري، التحقت في الكلية الأمريكية للفنون المسرحية؛ إذ كنت مصمِّمًا أن أصبح ممثلًا؛ كانت لديَّ فكرة اعتقدت أنها رائعة، وهي طريق قصير إلى النجاح، حتى إنني لم أفهم ما لم يكتشفه آلاف الطموحين.

كنت أدرس كيف توصَّل الممثلون المشهورون، أمثال: جون درو، وألتر هامبدن، وأوتيس سكيز إلى أهدافهم.. بعد ذلك أخلد أفضل مزاياهم، فأجعل من نفسي نجمًا لامعًا ناجحًا. لكن كانت هذه الفكرة سخيفة وواهية! إذ عليَّ أن أمضي عدة سنوات من حياتي أُقلِّد الآخرين قبل أن أكتشف فكرة أكيدة، وهي أن أكون ذاتي، وأنني لا يمكن أن أكون غير ذاتي.

كان يجب أن تعلمني هذه التجربة القاسية درسًا لا يُنسى.. لكنها لم تفعل؛ إذ إنني كنت عنيدًا، و كان عليَّ أن أتعلم درسًا ثانيًا.

فبعد عدة سنوات، إذ جهزت نفسي لكتابة ما تأمّلت أن يكون أفضل كتاب يصدر عن فنِّ الخطابة المخصص لرجال الأعمال؛ فلجأتُ إلى الفكرة السخيفة ذاتها في كتابة هذا الكتاب: إذ قررت أن أستعير الأفكار من الكُتَّاب الآخرين

وأجمعها في كتاب واحد.

كتاب يجمع الكثير من الأفكار..

جمعتُ عددًا من الكتب المتخصِّصَة بفن الخطابة، وأمضيت سنة في صياغة الأفكار بكلماتي الخاصة، لكنني علمت أخيرًا أنني أتصرف بحماقة!

إذ إن خليط الأفكار التي جمعتها كان مفكَّكًا ومملًا، حتى ما من رجل أعمال اطَّلع عليها.. وهكذا ألقيت بعمل سنة كاملة في سلة المهملات، وبدأت من جديد وقلت في نفسي: «يجب أن تكون ديل كارينجي، بجميع أخطائه وحدوده، ولا يمكنك أن تكون شخصًا آخر».. وهكذا تخلَّيتُ عن محاولة كوني مزيجًا من الرجال الآخرين، فشمَّرت عن ساعدي، وقمت بما كان عليَّ القيام به منذ البداية، ووضعت كتابًا عن فن الخطابة، مستوحيًا الأفكار من تجربتي الخاصة، ومن ملاحظاتي ومعتقداتي كخطيب ومعلِّم.

تعلَّمت الدرس الذي تعلمه (السير والتر راليه): «لا أتحدث هنا عن (السير والتر راليه) الذي ألقى بمعطفه على الوحل لتمر عليه الملكة»! بل عن أستاذ الأدب الإنكليزي في أوكسفورد عام (١٩٠٤ م) إذ قال: «لا أستطيع أن أضع كتابًا يوازي كتب شكسبير، بل أستطيع أن أضع كتابًا بقلمي»...

سريع الذوبان

رأيتُ أن الموافقة في الطبع تحمل الإنسان على فعل بعض ما لا يعتقده، وتبجيل من لا يحبه، ولكن بدعوى موافقة الطبع وقع ما وقع هذا الإنسان سريع الذوبان شخصيًا في الآخرين.. والدافع لهذا أصلان:

أولهما: الضعف الذي يكون في الشخصية..

ثانيهما: التعلق بالطرف الآخر، لمشاكلته في الصفات، و السجايا، والأخلاق..

وقد يكون هذا نابع من المحبة، إذ إن المحب خاضع ذليل مذلل لمن يحبه..

اخضع وذلَّ لمن تحب فليس في
شـــــرعِ الهوى أنفٌ يشالُ ويرفعُ

وكم من عمل كان الدافع له الموافقة في الطباع، والمشاكلة في الأخلاق، صار رفاتًا رميمًا باليًا.. لا روح فيه، ولا ثمرة منه إلا الخسارة..

إذ إن الدافع لإنشائه المشاكلة لا الموهبة والقناعة، وهذا مُسقط للعمل من البداية..

والمقصود: أن أعمالًا كثيرة كان الدافع لإنشائها المشاكلة والموافقة لأصحابها، سقطت سقوطًا سريعًا.. وحققت خسائر

عجيبـة، وهـذه ثمرة مـا بُنيَ علـى العاطفة..

والعقـل فـي هـذا البـاب هـو الزمـام للعاطفـة..، والشـرعُ هـو الزمـام للعقـل؛ فمـن أهمـل الالتفـات إليـه انطلـق ربـاط عير العاطفـة، فوقـع فيمـا وقـع فيـه..

فـلا بـد للنجـاح فـي المشـاريع علـى اختـلاف أنواعهـا مـن التخطيـط.. وحسـن الإدارة المسـتقبلية، والتنظيـم، وحسـن اغتنام الفـرص، وليـس العاطفـة فقط..

الآخريـن لا يؤثرون فـي أوضاعنا الشـخصية إلا عندما نكون فـي وضعيـة عقلية وشـعورية هشـة وغير متزنـة، ولذا فـإن علينا أن نلوم أنفسـنا، ونحـاول جعلها أكثر تماسـكًا قبل أن نلـوم الآخرين، ونوجههم علـى تدخلهم في شـؤوننا...

فـإن لـكل شـخصية نكهتهـا الخاصـة..، وذوقهـا الخـاص، الـذي لا يكـون إلا لهـا فحسـب.. فـلا تذوبَـنَّ فـي كأسِ غيـرك..

موازنة: بحسب شدة الكرب تكون حِدَّة الصبر.

الحب الغبي

ومـن عيوبـي: أننـي إذا أحببـت أحببـتُ بكلِّي .. وهـذا عيبٌ قاتـل، حتـى قـال الأعرابـي: «عَذَّروبي إني أحـبُ بكل مـا فيني»..

فَعُـدَّ ذلـك عيبًـا عنـد حكمـاء النـاس وخواصهـم وعوامِّهـم لخطورتـه علـى النفـس.. غيـر إنـه يحملنـي علـى ذلـك: قلـة المشـاكلة فـي النـاس، فيعسـر أن تجد لك مُشـاكلًا فضـلًا عن خِلٍّ وَفِـيٍّ. وفـي الحديـث: «أحبـب حبيبـك هونًـا مـا، عسـى أن يكون بغيضـك يومًـا ما».

فلـو أنـي اكتفيـت بهـذا لما جنيـت على نفسـي بهـذا؛ غير أن الحـبُّ يعمـي ويُصِمُّ.

و أنـا -يـا سـادة- حيـن أتكلـم عـن الحـب أتكلم عـن ذلك المخلـوق العجيـب، وعـن تلـك الرحـاب الفسـيحة.. وعـن تلك القلـوب التـي تـرى محابهـا لذائـذ، ولـو كانـت مقاصـل؛ فعيـن المحـب تـرى الشـوك زهـرًا.. والألم أمـلًا والليـل سـكينة وأمنًا.. والوحـدة خلـوة وتأمـلا..

بل تستسهل النفوس الصعب بالحب..

وتجترئ العيون على المكنون بالحب..

وتنطق العيون قبل الألسن بالحب..

فلغـة الهـوى هـي لغة العيـون.. أنـا أتكلم يا سـادة عـن هذا

السِرِّ العظيم الذي يحيل الألم أملًا لا عن أوضحه فحسب. الحب أوسع من هذا.. وأعمق ..ومن عجبي أني شكوت من عيبي؛ فوجدتني أُفاخر به.. وأشدو به لكم.. فليت شعري هذه الدنيا لمن؟؟!!

همَّة: **كلما عظمت همة الإنسان.. كلما تنوعت اهتماماته..**

العِوَض: **في كتابي.. وكأس الشاي.. عِوَضٌ عن كل جليس.. وفي الله .. عِوَضٌ عن كل مفقود..**

القدوة تحيطه الأنظار

مصطفى صادق الرافعي.

«لـو أقـام النـاس عشـر سـنين يتناظرون فـي معانـي الفضائل ووسـائلها، ووضعـوا فـي ذلـك مئة كتـاب، ثـم رأوا رجـلًا فاضلًا بأصـدق معانـي الفضيلة، وخالطـوه وصحبوه؛ لـكان الرجلُ وحده أكبـر فائـدة من تلـك المناظـرة، وأجـدى على النـاس منهـا، وأدلَّ علـى الفضيلـة مـن مئـة كتاب، ومـن ألـفِ كتابٍ.

ولهـذا يرسـلُ اللـه النبـي ﷺ مـع كل كتـاب منـزلٍ، ليعطـي الكلمـة قـوة وجودهـا، ويخـرج الحالـة النفسـية مـن المعنـى المعقـول، وينشـئ الفضائـل الإنسـانية علـى طريقـة النسـل مـن إنسـانها الكبيـر».

اتصل بي أحدهم وقال لي:

أحببـت لحبـك الشـاي.. فأصبـح جليسـي وأنيسـي.. فقلت له :

أحبـك اللـه الـذي أحببتنـي فيـه... أمـا الشـاي فزيـادة.. غير ربوية..

جزء: **أنـت جـزءٌ مـن هـذا الكـون الفسـيح.. فقـل لـي بربـك: أيـن مكانـك فيـه؟!**

مشكاة الظلام

رأيتُ أن الهمومَ والغمومَ معقدة للهمة، قاتلة للعزيمة، مذيبة للنجاح في محلول الفشل، وهي مفتاح للقلق، والقلق مرض من أمراض العصر، ومن طريف ما طالعت:

أن دايل كير ينجي صاحب أشهر مصنف في هذا الباب: «دع القلق وابدأ الحياة».. بعد تنظيره للناس في كتابه؛ قتله القلق، بل دفعه إلى الانتحار كما قرأت!!

والمقصود أن دايل لم يهتدِ إلى السبيل الصحيح في الديانة؛ ليكون مطمئنًا بعيدًا عن القلق، هادئ البال، مما دفعه إلى كثرة الشكوك والظنون، حتى وقع على أم رأسه في حمأة القلق، فكانت بداية نهايته...

يقول كبير الحنابلة العلّامة الشيخ عبد الله بن عقيل -رحمه الله-: «وأنا أوصي بكتابة: «دع القلق وابدأ الحياة»... ويقول الطنطاوي -رحمه الله- كلامًا مفاده: «وهذا من أحسن ما أُلِّف في هذا الباب، غير أنه لو قال: «دع الهم».. لأنه إنما تكلم عن الهم..».

وقد سمعت من الشيخ الفقيه عبد الله بن عقيل -رحمه الله-: أن الشيخ عبد الرحمن بن سعدي -رحمه الله- أوصى بهذا الكتاب خيرًا، ونصح بقراءته، واستلَّ منه فوائدَ في رسالته:

«الوسائل المفيدة في الحياة السعيدة»[١]..

والمقصود: أن ضياع الإيمان سبب لكل همٍّ وغمٍّ، ولكل بلاء وفتنة، يقول جل وعز: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه: ١٢٤].

فتأمل: ﴿ أَعْرَضَ ﴾ وتأمل: ﴿ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ تجد النتيجة في العبارة ﴿ ضَنكًا ﴾..

حَذِرْ:

كن حذرا من الرجل الذي لا يقرأ.. وكن أشدَّ حذرا من الرجل الذي قرأ كتابا واحدا فقط.

(١) كتبت عليها تعليقات.. عسى الله أن ييسر خروجها في حُلَّةٍ تليق بها.

برود

ومـن عيوبـي: تأخـر بعـض ردود أفعالـي، حتـى يكاد يُنسـى الحـدث المسـبب لذلك..

وليـس ذلـك إلا مـن بـاب تمحيـص الأمـر، وعـدم التعجـل فيـه.. والحـرص علـى إحسـان الظـن بالآخريـن قـدر الوسـع والطاقـة.. وتأمـل العواقـب.. وسـد الخلـل..

وكـم فـوت علـيَّ هـذا العيب مـن خيـر.. وكم جلـب لي من خيـر أيضًـا.. صحيـح أنني أرضى بنسـبة كبيرة عـن ردة فعلي.. غير أن مـا يفـوت أحيانًـا يكـون شـيئًا كثيـرًا.. فهـذا وإن كان عيبًـا مـن وجـه.. فهـو منهـج تطييب للقلـب من وجـه آخر..

ولـذا وجدتنـي أتعـب كثيـرًا فـي القـرارات المصيريـة الحياتيـة.. فهـي تؤرقنـي.. سـواء أكانـت شـخصية أو غيـر ذلك.. والصـراع الجـاري فـي هـذا البـاب هـو بيـن العقـل والعاطفـة.. فالعقـل ممحـصٌ للأمـور.. ضابـط لهـا.. يُعـن زمامهـا.. ويوثـق قيادهـا ولجامهـا..

بيـد أن العاطفـة عاصفـة.. كالأعمى حيـن يثور.. فإنه يفسـد علـى نفسـه أكثـر مما يصلـح.. بل ربمـا آذى نفسـه بسـبب ثورته.. فليت شـعري هـذه الدنيـا لمن؟؟!!

موازنة: **بقدر طموحاتك نَمِّ قدراتك..**

الخِلُّ الوفي

قال لي صاحب: ما وجدتُ في الحياة قلبًا أوفى من قلب الأم، وصدق إي وربي...

فهي تعطي وتعطي وتعطي، لتعطي، ومن سواها يعطي ليأخذ، ويأخذ ويأخذ فحسب...

إنه معنى عظيم في وفاء الحياة، وحياة الوفاء، أما إن سألت عن أوفى الأوفياء بعد والديَّ، فهو يا رعاك الله جماد جلمد .. لا روح له، بل وحتى لا عاطفة به..

ومع هذا فأنا أحبُّه، وهو أوفى وفيٍّ، أتدري من هو...؟!!

إنه كتابي..

قال عبدالرحمن العجلي:

أنا من بـــــدَّل بالصحب الكتابَ

لم أجـــــد لي وافيًـــــا إلا الكتابا

قال ابن حمدون:

«وجدتُ الكتاب خير صاحب وقرين، وأفضل رفيق وخَدين، ولا يخون ولا يمين، ولا يُماكر ولا يُناكر، ولا يعصي ولا يُنافر».

«إن هذه الأوراق تحلُّ منّا محل الأولاد».

قلـت: فلـو زاد مع كتـابٍ منتخـب، كأسُ شـاي مُزَعْفَـر.. تم نعيمي .

مناظرة سفيه

رأيتُ أن محادثة السفهاءِ مجلبةٌ للشقاء .. فكيف بالرد علي سفاهتهم ؟!

يؤثر عن موسى عليه السلام قوله: إنني عالجتُ كلَّ أبرصٍ وأكمه، ولكنني لم أطق قطُّ عِلاج الأحمقِ...

لـــــكل داءٍ دواءُ يســـــتطبُّ بِه
إلا الحماقةَ أعيـــــتْ مَن يُداويها

وإنك حين تَرُد عليه أو تستنطقه، فإنما تقطع واسطة عقد لسانه عليك، فينهال بحماقاتٍ لا تستطيع لها ردًّا، ولا تستطيع لها عدًّا...ثم إن فتح بابَ الحديث مع هؤلاء، أو الحوار معهم، أو الردِّ على حماقاتهم إذا أطلقوها علينا، مفتاح للأسى في حياتنا، وطارد للهناء وراحة البال، وجالب لطول التفكير والقلق، وكذلك مُسقط للهيبة، وجالب للريبة، تكون به في مصافِّ هذا الجاهل....

وكذلك تجد أن مُدَّخَراتِكَ اللغوية قد زادت شيئًا في باب ما جاء في السباب والشتائم من المصطلحات الجديدة، المعربة والعامية...

لكن تَسامَ عن هؤلاء الطينيين السَّفَلَةِ، واجعل لك قصراً عاليًا مطلًا عليهم، من الصبر، وضبط النفس، والتؤدة..؛ واعلم

أن النخيـلَ يرجـمُ بالحجـارة فيسّـاقط الرطـب علـى مـن رجمـه، فكـن تلـك النخلـة المعطـاءة .. ولربما سـقط عليك هـذا الأحمق بسـوء أدبـك أنـتَ مـع ربـك، فراجـع حسـابك؛ لعلـك إنمـا أُتيتَ مـن قِبَلِ نفسـك ..

أو لربمـا كان تسـليط هـذا عليـك بلاء مـن الله، علَّـهُ أن يرفع درجاتـك، ويكفـر اللـه بـه مـن خطيئاتك...فقـد تكـون لـك فـي الجنـة بـإذن اللـه منزلـة لـن تبلغهـا إلا بهذا البـلاء...

إذن فاصبـر واحتسـب، واصنـع مـن هـذا البـلاء وهـذه الحماقـات سـعادة ورضـى... ليكـون لـك بـإذن اللـه شـيٌّ مـن الثبـات فـي هـذه المواقـف، وشـيٌّ مـن الرضـى عـن الـذات....

وكـن العاقـل فـي الميـدان .... الكابـح للسـان ...الضابـط للجنـان ...تنـل الرضـى والرضـوان ...

وتُعَزُّ بخُلَّة الخِلّان ...

سيدة: سيِّدة الأخلاق هي الغَيرة..

التأخير الأحمق

ومـن عيوبـي: تأخيـر إنجازاتـي، فتجـد ضبائـر الأوراق فـي مكتبتـي لهـا سـنوات... وسـنوات... أطـربُ لمشـروعٍ مـا... ثـم أمضـي فيـه زمنًـا؛ جمعًـا للمـادة... وترتيبًـا... وتبويبًـا ودراسـةً و تحليـلًا.. ثـم تأتـي الصـوارف، فتصرفنـي عنـه.. حتـي أنسـاهُ أو أكاد...

ومـن عجـب.. أنـي وأنـا أكتـب هـذه الحـروف تذكَّـرت بعـضَ مشـاريعي المتأخـرة، فأهتـز وجدانـي لمراجعتهـا وبعثهـا مـن جديد،غيـر أنـي علـي قناعة أننـي أقف فيهـا بعد زمـن قريب.. وبـدون إنجـاز .. مُرضـي..

فـإذا بالتأخيـر الأحمـق يقصيني عن هذه المشـاريع بالنسـيان فـي حيـاة ملأتهـا الشـواغل.. ومن هـذه المشـاريع التي أسـال الله -عزَّ وجـل- أن أنجزها، موسـوعة:

«روائـع الأبيـات» مبوبـة علـي المواضيـع .. وقـد جمعـت فيهـا آلاف الأبيـات.. والموسـوعة التربوية لإصلاح النيـة والذرية .. وهـي جمـعٌ لروائـع مواقـف العلمـاء مـن سـير أعـلام النبلاء.. وترتيبهـا مـع ريـاض الصالحيـن .. ومادتهـا جَزِلـة .. وتعليقـاتٌ علـى كتب العقائـد؛ ككتاب التوحيـد، وثلاثة الأصـول، والقواعد الأربـع، ونواقـض الإسـلام، وكشـف الشـبهات، وفضل الإسـلام للإمـام المجـدد محمد بن عبـد الوهاب -رحمه اللـه-، والجوهرة

الفريـدة في تحقيـق العقيـدة.. والوصايـا والآداب العلمية، وأعلام السـنة المنشـورة.. ومختصـر معـارج القبـول، كلها للشـيخ حافظ الحكمـي -رحمـه اللـه-، والواسـطية، والوصيـة الصغـري، واللاميَّة،كلهـا لشـيخ الإسـلام ابن تيميـة رحمه اللـه، ومفهوم أهل السـنة والجماعـة عند شـيخ الإسـلام ابـن تيميـة ومادتـه جاهزة ..

غيـر أن الصـوارف كثيرة .. ومفهـوم التوحيد وأقسـامه.. وما يضـاده.. عنـد الإمام محمـد الأمين الشـنقيطي من خلال تفسـيره: «أضـواء البيـان»، ومادتـه جاهـزة أيضًـا .. وغيرهـا مـن المـواد العلميـة والمشـاريع المتوقفة..

ولا أحسـب هـذا إلا مـن قلة بركـة الزمـان .. أو عـدم ترتيب الأولويـات أحيانًـا .. أو عـدم الحـزم مـع النفـس أحيانًـا أخـرى.. فالله أسـألُ أن يشـفيني مـن هذا؛ لأواصـل إنجازاتـي الحياتية التي هـي تحقيـق لذاتي، بـل هـي ذاتـي ولَذّاتي ..

بقي أن أقول:

كـم أكل علـيَّ هـذا التأخير الأحمق مـن هِمَّة.. وكـم أبرد من عزيمة..

وقود: التجارب.. وقود الحياة.

القرار قرارك

الأستاذ: ستيفن كوفي.

«الإنسان يولد ومعه هدايا وهبات فطرية ضرورية لحياته ومستقبله، وهي غالبًا ما تبقي مغلقة ومغلفة دون توظيف، حتى نقرر نحن استخدامها؛ لأنه لا يمكن أن يستثمرها أحدٌ غيرنا، فلا يمكن أن تمتد إليها يد إلا يدنا».

مَلَل: الملل مفتاح الكسل.

ليتني معهم

رأيتُ أن إدمان مجالسة الصغار، وكثرة مخالطة السفهاء وضعفاء العقول، تورث الإنسان ضعفًا، وضمورًا فكريًّا.. بل قد يصل إلي درجة تفكيرهم، وهذا مما دفع كثيرًا ممن سلف لرد شهادة معلم الصبيان.. فكيف بمن يتعامل معهم ومع أمثالهم اختيارًا...

ولقد سمعتُ عن مدرِّس للصفوف الأولية ، كان يدور كما يُدوَّر الطفلُ بكرتهِ، كثير الكلام، كثير الحركة، له أحوال أصدق ما تكون كأحوال الأطفال... فتعجبتُ!! وسألتُ من سألت.. أهذا مريض ؟! أم به أذًى من رأسه؟ قال صاحبي: لا.. ولكنه معلم للصفوف الأولية منذ عشرة أعوام ....

فقلت: الحمد لله علي نعمة العقل والإسلام.. وعَلِمتُ أنَّ مداومة الخلطة مع هؤلاء تكسب الإنسان شيئًا من طباعهم، ولذا وصف النبي -صلي الله عليه وسلم- رعاة الغنم بالرحمة والشفقة، ووصف رعاة الإبل بالقسوة والغلظة؛ فإن لها تأثيرًا علي طباعهم ..

وكذلك رأيت أن أهل الجبال والتلال والمرتفعات، أضيق خُلقًا وأسرع غضبًا،،وأهوج تصرفًا من أهل الأرض المنبسطة والسهول والرمال ...

فـإن أهلهـا أهـل هـدوء، وأهـل بعـد نظـر وأكثـر تثبُّتًـا ونظرًا فـي عواقـب الأمـور ... وكذلـك مَـن جالـس العلمـاء وصاحـب الفطنـاء، فإنـه ولـو لم يكـن صاحب آلـة، إلا أنـه يتعلـم ويتفهم...

ولقـد رأيـت شـيخًا عاميًّـا يحضـر معنـا مجالـس سـماحة شـيخنا عبـد العزيـز بـن بـاز -رحمـه اللـه- لا يفارقهـا أبـدًا إلا ما شـاء اللـه ... وإذا تحـدث فـي مجلـس قُلْـتَ : هـذا مـن العلمـاء، فالسـكينة والوقـار، والتواضـع، والتثبـت فيمـا يقـول وينقـل، زد علـي هـذا العلـم العـذب الفـرات ... هـذا وقد قَصُـرَتْ بـه راحلة اللغة،والبيـان والفصاحـة، فتحـدث بالعاميـة...، ولكنـه أفـاد مـن مخالطتـه للعلمـاء ...

إذن فمـن خالـط النـاس أحدثـوا في شـخصيته أثـرًا .. وعلى قـدر مـن تخالـط يكـون بنـاء شـخصيتك .. فـإن كانـت الخلطـة إيجابيـة؛ فإن خصال الشـخصية متينة مسـبوكة سـبك الذهب، وإن كانـت الخلطة سـلبية؛ فـإن خصال الشـخصية ضعيفـة واهية أوهن مـن بيـت العنكبـوت ... فتفقد عقلـك، وليس كلُّ نقـل يُنقل فإن ما لا يعقـل مـن الأخبـار لا ينقـل .. إلا إذا صحَّ سـنَدُه...

وأنـت اختـر لنفسـك كيف يكـون بنـاؤك الشـخصي، وكيف تكـون عقليتـك .. وكيف تصـوغ أفـكارك .. كل هذا قـراره بيدك، فاختـر لنفسـك، ولا تكن كصاحبـك ..وقَـعَ في تدريـس الغلمان، فهـو كل يـوم يفقـد جـزءًا مـن عقله، وقـد هـرب عقـلاء المعلمين فـي زماننـا إلـي الوظائـف الإداريـة، ومـن لـه قـدرة، هـرب إلـى المناصـب هروبًـا مـن أرض الواقـع المريـر، وحفاظًـا علـى هـذا

العقـل .. وصيانـة لهـذه الأمانـة ... وليتني معهـم[١]....

(١) تحقق ذلك بفضل الله ومنَّتِهِ عليَّ بعد نشر الطبعة الأولى من هذا الكتاب فقد كانت الطبعة الأولى عام ١٤٣١هـ، وفي عام ١٤٣٥هـ يسر الله لي اللحاق بركب الأكاديميين، وفي الحقيقة وجدتُ أن الغالب لا يرضون ما هم فيه من الخير حتى يُفْقَدْ.

لحظة إيثار

أذكـر فـي أيـام الجامعة قصـرت بي النفقـة، فلم يبـق معي إلا خمسـة ريالات فقط ..

وكنـت بالخيـار الصعـب بيـن أن أتعشـى تلـك الليلـة أنـا وصاحبـي ..، أو أن أشـتري كتابًـا، فقـال قائـلُ العقل أطْعِـم تُطعَم وقـال قائـل الهـوى سَـلِّم تسـلم، فاستشـرت صاحبـي[1]، وبينـي وبينـه رحـم هـي رحـم العلـم، وكان أكثـر منـي شـغفًا بالكتـب؛ الجـوع يُسـكتهُ الرغيـف اليابـس والقليـل مـن الإدام والكثيـر مـن المـاء، ولكـن هـذه الليلة من يسـكتنا نحـن، وقـد واللـه رغبنا هذا الكتـاب فمـا كان منـي إلا أن أرقـت ماء وجـه تلكم الخمسـة علي منضـدة الكتُبيِّ، واشـتريت كتابا وتعشـيت ماءًا وخبـزًا فلله الحمد والمنة.

سرٌّ: أن تـدرك الجوهـر الـذي بداخلـك.. ذلـك سِـرٌّ مـن أسـرار نجاحـك فـي حياتـك..

(١) أخي الغالي الأستاذ: عوض بن محمد آل خرصان الأديب الأريب. من كان له بعد الله الجهد في تحبيب القراءة إلى نفسي في المرحلة الجامعية عام ١٤١٣هـ.

كشف حسابي

ومـن عيوبـي: أننـي مكشـوف العواطـف بمعنـى: أننـي لا أسـتطيع أن أخفـي حبِّـي وغضبـي فـي آن.. وهـذا مـا قـد يَعـدُّه بعضُهـم حسـنة، غير إن الإغـراق فيه عنـدي أصبح عيبًا، فيـه ما فيه مـن الوثوق بمن ليسـوا أهـلًا للثقـة، أو التعجل في حب مَن ليسـوا أهـلًا لذلـك؛ أو شـدة النكير علـى ما يحتمل السـكوت عليـه .. أو تأجيـل مناقشـته وعلاجه لحين آخر ..عمومًا أشـعر أنـي قد ربطت هـذا العيـب ببعـض العيـوب السـابقة لكـن الزاويـة التـي نظـرت فيهـا.. وأود تجليتهـا لكم يا سـادة لتكتشـفوا هذا العيب الإنسـاني فـي أنفسـكم ..أو فيمـن حولكـم فتعالجـوه وتحـذروه قبـل تفاقم الأمـر.. وإلا؛ فليـس فـي العاطفـة والحـب عيب، حتي ولـو كانت مشـاعرك مكشـوفة للآخرين .. ولكـن المعادلة الصعبـة هي: كيف تضبـط ذلـك؛ لتكـون ممـن أنصفـوا أنفسـهم مـن أنفسـهم، وهذا عزيـز فليـت شـعري هـذه الدنيا لمـن ؟؟!!

قراءتي (١)

وإنك لتجدني ألتهم الأوراق كما تلتهم النارُ الحطب...

حتى يقول لي ضميري: أترك لغدك شيئاً تقرؤه، فأجيب أحيانًا، وأحيانًا كثيرة لا أجيب .

إنه الخل الوفي، ومن يلومني فيه، ولقد قرأتُ المجلدات تلو المجلدات، وما زادني ذلك فيها إلا نهمًا.. وإني لأقرأ أحيانًا الكتاب المتوسط الحجم في مجلس أو مجلسين أو ثلاثة ..

ولكل كتابٍ عندي قراءته الخاصة ...

لص: الرجل الذي يتولى وظيفة مرموقة، ثم يظن أن الناس خُدَّامٌ له، هذا لص.. لأنه هو الخادم لهم في عين الحقيقة..

لذتي

رأيتُ أنَّ الليل من أمتع الأوقات في حياتي.. بل هو لذَّتي في هذه الدنيا ... بل وهو وقت الأسرار .. إذ لا تَحْلو الأسرار إلا بالأسحار..

قلتُ للَّيلِ: هل بجوفكَ سـرٌّ
عابقٌ بالحديثِ والأسـرارِ؟!

قال لي:لم ألقَ في حياتي شيئًا
كحديث السُّمار في الأسحارِ

لا تخلد النفس إلي بطحاء الطمأنينة إلا فيه ...

ولا يروق الذهن من المكدرات والمنغصات إلا فيه ..

بل لا تطير الهموم عن قلب المحزون.. إلا فيه .. هو سكينة .. وسكن ..

بل هو موسم خصب من مواسم إخصاب الأفكار وتلاقحها، فلا تخرج بنات فكري محبرة في الغالب إلا فيه، وهي في أبهى حللها، تعرض نفسها في سوق العقول... هذا الليل، وإن كان بَهيمْ، إلا أنه ساتر عظيم ..

آية دالة علي وحدانية المنعم جل شأنه، فيه تهيج الجفون، وتفيض عبرة المحزون، فيه يلهو أهل اللهو، ويبسط أهل

الحب الصادق أقدامهم بين يدي سيدهم جل ذكره.. فيه تكون المناجاة، ويكون التضرع، والمسارَّة بالعمل.

فيه أزمنة شريفة، فيه ينزل الربُّ إلى السماء الدنيا جل وعز، فتُفتَحُ أبوابُ الرحماتِ، وتُجاب الدعوات، وتقال العثرات..

لا يصفو ذهني إلا فيه، ولا ينشط قلمي إلا فيه، ولا يزداد نشاطي الفكري إلا فيه.. فأحمل قلمي وأريق حبري على ورقي..

أستجمعُ خواطري، وأشجاني فيه.. فينطلقُ لسان البيان مسبِّحًا بحمد ربه، حامدًا، مصليًّا...

لي فيكَ يا ليلُ آهـــــاتٌ أرددُها
أواه لو أجدتِ المحـــــزونَ أواهُ

فالليل في نفوس محبيه صباح .. بل القمر المحاق بدر ساطع ..، ونجم لامع ..

عظيمُ الأسرارِ كثيرُ الأخطارِ .. في قلوب محبيه أبينَ من النهارِ .. وعواطف المحبين فيه كالأشعار..

ألطف علي قلوبهم من نسائم الأسحار .. فيه صرير الأقلام بالأحبار..

يا ليل.. كم في القلب لك من حب!!

يا ليل كم من محبرة فيك أريق حبرها!!

يا ليل.. كم من عبرة فيك علي صحائف الخدود!!. .

يا ليل..كم من توبة فيكَ رُفعت وقُبلت!!.

يا ليل كم من رقبة فيك أُعتِقت!! ..

يا ليل كم من هائمٍ فيك وجدَ بغيته!! ...

يـا ليل .. كـم للمحبين فيك مـن أسـرار!!.. وللصادقين فيك من أخبار!!...

ولأهـل الهمـم فيـك مـن أشـعار!! وعلـى الحقيقـة فـإن سـاعات الليـل مـن أجمـل سـاعات حياتـي...

وتمتد في الليالي الشاتية، فتشرق صحائفُ دفاتري.

وتنضـب أحبـاري فأوصيكـم باغتنـام دقائقـه ... واسـتثمار ثوانيـه .

يا ليل أنت مُنانا وأنتَ أنتَ السميرُ . .

رأس مال: **رأس مـال الدولـة: هـو جهـود أبنائهـا الأبـرار..**

أتغافل

ومـن عيوبـي: الإغـراق فـي التغافـل .. ولـو أن مقـدارًا منـه يضفـي حيـاة سـعيدة علـيَّ غيـر أن التغافـل المطلـق يعكـس فـي عيـون الآخرين صـورة بـاردةً أحيانًا أو قليلـة الحـزم، أو لا تأبه بما حولها..

وهذا يؤثر كثيرًا على الأجواء المحيطة بالإنسان..

فقـد يعيـش مختنقًـا بمـن حولـه .. فهـم لا يقـدرون هـذا التغافل.. وشـطر بيـت الحكيم يقول ..«لكنَّ سـيدَ قومهِ المتغابي».

يـا سـادة.. بصراحة.. لو أدرك شـاعرنا هـذا الزمـن لغيَّر هذه الحكمـة الذهبيـة .. إلى حكمة خشـبية وقال:

لكن «سيء قومه المتغابي».

ولَدُفِنَـتْ سـعاداتٌ وسـعادات عشـناها بالتغافـل فـي مجتمعاتنـا....

أقـول يـا سـادة، وبصراحـة: إن الدواء الـذي يصنعُـه الطبيب الحـذق للمريـض المحتـاج يضـره .. إن هو فَرَّط فـي الجرعات أو أفـرط .. والتغافـل دواء.. فـلا نُفَـرّط فيـه ولا نُفْـرطْ . فـإذا قـدرت علـى أن تتغافـل عمّـا يَجمُـل بـك التغافـل عنـه؛ فافعـل وقـد قيـل لبعـض أهـل العلم: عُشـر العافية في التغافـل..، فقـال رحمه الله: بـل العافية كلهـا فـي التغافل..

• التغافل عن العدوِّ حماقة .. وتَقَصِّي أخطاء الصاحب جنون .

ميزان:

- التغافل مع مفسدات السعادة مجلبة لها .
- التغافل مع الأحمق حمق .
- التغافل لا يصلح إلا مع حاسد.

رأيٌ في المراجعات

رأيتُ أن الاعتراف بالحق من أفضل الفضائل، ومن أجمل صفات المنصفين.. وقليل من الناس من يرجع إليه...

ثم إن الكبر والاستمرار على الخطأ من مفاتيح الشيطان على قلوب العارفين..

طالب الحق طالب له، ولو لَمْ يصِبْهُ مَرَّة.. فإنه يبذل الجهد والوسع في ذلك .. فلعله أن يكون في أخرى..

ثم إن المراجعات، وترتيب الأوراق من مهمات الناجحين في التعامل مع الأزمات؛ لأنهم طلاب كمال بشريٍّ.

فهم يبذلون ما يسوغ لهم ذلك؛ لأن عذرهم الوحيد هو الجري وراء الحق، وإصابة عين الحقيقة.

يقول ابن تيمية -رحمه الله-:

«أحب الحقّ وفلان ما اجتمعا، فإن افترقا، كان الحق أحبَّ إليَّ من فلان ...» ا.هـ وصدق رحمه الله...

وإنَّ من أعظم الحق: الاعتراف بالخطأ إذا أخطأ الإنسان، والرجوع إلي الحق، فإن هذا دليلُ السعي وراءَ الكمال... يقول مؤلف كتاب «التعامل مع من لا تطيقهم»:

«لا توجد لغة تسمح بالخطأ، إن لم تحاول أن تدافع

عنه، وعندما تتأكد من عدم صحة معلوماتك، ومن أنك كنت ساذجًا في تفكيرك؛ فإن الاعتراف بذلك سوف يكفي لاستعادة احترامك في عيون الذين ينظرون إليك..» أ. هـ

بقي أن أقول:

تأكد أنك يوماً ما.. ستضحك من نفسك، لأنك بذلت الكثير والكثير على أشياء لا تستحق...

أعطِ نفسك خط رجعة..، وتأنى في تبنيك المواقف والأفكار..، لأن الثمن من دمك أنت فحسب...

نقص المناعة:

ذهاب العدلِ في المؤسسات الحكومية، والدوائر الشرعية، والحياة الاجتماعية، والصفقات الاقتصادية فيروس نقص مناعة للأمّة، يطيح بها إذا أفسدت النفوس..

عندما أكون ضعيفًا

ومن عيوبي: أنني ضعيفٌ أمام الجمال...

ولعل هذا اعتراف أعترف به لأول مرَّة في حياتي....

نعم وبكل جرأة.. نعم وبكل صراحة..

أنا ضعيف أمام الجمال ..

وما حصون الثقافة أمام نُجْلِ العيون.. وما قلاع المعرفة أمام حُسْنِ القدود والخدود والعيون السود.. وما ترسانة «الأنا» أمام سحر هاروت وماروت.

إن الجمال فتنة العقلاء ولذَّة النبلاء.. وهم مع هذا يا سادة .. لا يعبرون عنه أحيانًا كثيرة لكمال حالهم بين الناس، وقد يرفع الواحدُ منهم عقيرته بالتعبير عن ذلك في خلواته.. أو على ضبائر دفاتره.. فيريق الدم مدادًا يكتب به.. صحائف الحب ..

يا سادة ..

ليس الجمال كما أسلفتُ فحسب .. ولكن هذا معنى من معانيه.. فقط.. وإلا؛ فإني أسيرٌ للكلمة الجميلة، والعبارة الرقراقة... وتجدني أتحرز كلَّ التحرز حتى في رسائل هاتفي الخاص.. ألا أكتبها إلا بما يوافق الذوق الراقي والحس الشاعري.. كي أَطْرَبَ و أُطْرِبَ.. ولقد رأيتُني يَقِفُ شعرُ

رأسي؛ بل والله بدني كلَّهُ من كلمة جميلة في حُلل البهاء اللغوي... وترتدي حرائر البلاغة .. وقد تجدني أحيانًا أبكي مع الشاعر في بكائيته.. وألتاع للوعته.. وأطرب لطربه.. مما يدبجه وأضعف يا سادة أمام الكلمة الطيبة، والعبارة الحانية، فتجدني أحيانًا من جمال أدب صاحبها .. أترك له حقي، أو كثيرًا منه .. كل هذا مما يصنعه بي جمالُ اللفظ ..

ولذا قيل: جمال الرجال بالمقال، وجمال النساء بالخلخال ... وليس هذا فحسب يا سادة من معاني الجمال في حياتي.. بل جمال الروح عندي هو أروع أصناف الجمال.. إنه جمال السلوك .. إنه جمال الطباع .. إنه الحلية التي لا تُشترَى.. إنه الجمال الذي لا يَخْلَق ولا يَبلى حتى بعد موت صاحبه..

أما قبح النفوس -أجارنا اللهُ وإياكم منه-؛ فهو مقبرة للنفس في أوحال رديء الخِلال وصدق من قال:

جمالُ الوجهِ مع قبحِ النفوسِ
كقنديلٍ على قبرِ المجوسِ

ولذا تجد أن بعضهم قد جَمَعَ مع قبح النفس، قبح التصرف، وحمق المقال، وسوء المطلع.. نعوذ بالله من سوء المطلع وهوله..

مساوئُ لو قُسمنَ على صبايا
لما أُمْهِرْن إلا بالطلاقِ

فنعـوذ باللـه مـن هـذه المقبـرة المتحركة، ونسـأل اللـه -عز وجـل- طيـب العيش، وجمـال الـروح، وجمال السـلوك، وجمال اللفـظ، وجمـال اللحظ بمـا أذن ..

آزِرْ من وجدتَ.... ولكَ سهم

جورج برناردوشو.

«هناك نوعان من البشر يعيشون في العالم:

النوع التقليدي، والنوع غير التقليدي.

فالنوع التقليدي من البشر... يكيف نفسه مع العالم من حوله.

أما النوع غير التقليدي من البشر، فيُكيِّف العالَمَ من حوله على خصائص نفسه.

وعلى ذلك؛ فكل التقدم الذي نشهده يعتمد على النوع غير التقليدي من البشر.

وبنفس المنطق نقول: إن غير التقليديين هم الذين يقودون ركب الابتكارات اليوم».

بقي أن أقول:

لا يُثَرِّبُ نوعٌ على نزع، ولا يبتسرُ نوعٌ نوعاً، فلا يكون ذلك مفتاحاً للتنمر على الناس، وسوء التعامل معهم؛ فضلا عن أن يكون معيارا لتصنيفهم، أو انتقاصهم..، وقد خلق الله كل نوع لما يناسبه.. من الأعمال والأحوال..

قراءتي (٢)

ولـكل كتـاب عنـدي قراءتـه الخاصـة.. فمنها مـا يُقـرأ قراءة تصويريـة سـريعة للإلمـام بمـا يحتوي.

ومنهـا ما يُقرأ قـراءة تحليليـة، لمعرفة ما وراء النـص.. ومنها مـا يُقرأ قراءة شـهوة ولذة للاسـتمتاع، والمسـامرة، لا غير..

ومنهـا مـا يُقرأ قـراءة جردية للحصـول على فائدة مـن فوائده ودرة مـن قلائده..

ومنها ما يُقرأ على عالمٍ ليحل رموزَه، غوامضه ومغالقه.

الجمال:

لا تكـون الحيـاة جميلـة علـى الحقيقـة.. حتـى تنظـر فيهـا إلـى كل جميـل.. وهـذا هـو التفـاؤل والنجـاح القلبـي..

العزلة

رأيتُ أنَّ في السلامة من مخالطة الناس فوائد كثيرة:

منهـا: التميـز فـي زمـن الفتـن بالـرأي والتوجـه، وسـلامة العواقـب، والهـدوء..

ومنها: حفظ اللسان من اللغط..

ومنهـا: حفـظ العقـل مـن الاختـلاط، واختـلاف المـزاج، وورود الشـبه، والأباطيـل..

ومنهـا: حفـظ العيـن مـن فضـول النظـر، والـذي ربمـا حُرِم القلـبُ مـن حـلاوة الإيمان بسـببه..

ومنهـا: حفـظ السـمع عـن سـماع القبيـح مـن القـول، ومـا يسـتقذز مـن الألفـاظ..

ومنهـا: زجـر القلـب عـن التعلُّق بغيـر الرب جل وعـز، إذ إن الحاجـة للناس دافعـة علي التعلـق بهم..

ومنها: حفظ النفس من الفتن، والبعد عن مواطن التُهَم..

ومنهـا: التفـرغ لطلـب العلـم الأصيـل المتلقـى عـن معلـم الخيـر صلـى اللـه عليـه وسـلم..

ومنهـا: التفـرغ لمراجعـة النفس، وإعـادة التصحيح لمـا مَرَّ، فـإن اسـتراحة المقاتـل مطلوبـة لكل حامـل فكر...

ومنهـا: اسـتجماع قـوى النفـس، وجمـع طاقاتهـا، للمنشـط فـي النجاحـات المسـتقبلية...

ومنهـا: النظـر إلى عواقـب الأمور وضبـط النفـس، والثبات علـى الطاعات فـي الأزمات..

ومنهـا: التفكيـر والتدبـر في أقـدار اللـه، وفـي مخلوقاته فإن ذلـك مَعينٌ لا ينضـب للإيمـان، والثبات..

ومنها:عـدم التعجـل فـي الأمـر كلـه، فـإن ذلـك مجلبـة للخسـا ئر .

ومنهـا: البعـد عن الريـاء وخلـوص القلب للرب جـل ذكره، والمبـدأ مـن أخلص خُلِّـص له ومـن خَلَّطَ خُلِّـطَ له...

ومنهـا : تربيـة النفـس تربيـَة ذاتيَة سـليمَة صحيحَـة بعيدًة عن المؤثـراتِ الخارجية..

ومنهـا: محاسـبة النفـس ومراجعتها فـي علاقاتها، سـواء مع ربهـا جل وعـز، أو مـع الخلـق، أو حتى مـع الذات..

ولهـا فوائـد جمـة لا تحصـر.. فاجعـل العزلة كالـدواء، ولا تُغـالِ فيهـا، فـإن زيادتهـا قاتلـة..وإن نقصها يُجَـرِّي عليك السـفيهَ والأحمق.

بقي أن أقول:

التوازن بين الحضور والغياب منهج العقلاء.

نمطي غريب

ومن عيوبي: حبي للنمطية، وذلك يجلب صعوبة التغيير وتأخير التطوير في زمن أصبحت آلة العصر هي الناطقة.

أعني بها يا سادة (الحاسوب)، ولقد رأيتني أتلقّى الركلات من المحبين ركلة إثر أخرى يريدون هز أريحتي للحاسوب هزًّا، وأنا ثابت في حبي العتيق مولع بالكتاب، وعاشق لثقافة الوريقات، فتجدني أحيانًا أُمَايلهم وأصالحهم على نفسي؛ لأصرف وجوههم عن المراد وأحيانًا أكاد أقتنع بما راودوني عليه، وأحيانًا أخرج من بين الجلاس شاهرًا سيف النصر والشجاعة بكلمتي المأثورة عني وعني فقط (لو لم يكن الكتاب عظيمًا لما جعل الله وحيهُ في الكتاب) وأنتشي لهذا النصر، وأهش وأبشُّ له غير أن الفرحة لا تطول فما ألبث إلا وعذري هذا؛ شظايا على صخور الواقع.

نعم يا سادة. الزمن زمن إعلام وإعلام فحسب وهو بهذا يتصدر أخطر الأسلحة على الشعوب.

وقديمًا قالت أم المؤمنين رضي الله عنها في إعلام زمنها وهو الشعر (حسنه حسن وقبيحه قبيح) وعلى هذا فهذا السلاح إما حسن وإما قبيح، فأين أنتم معشر القراء الكرام عنه.

وعـن اغتنـام فـرص الحيـاة لتقديم الرحمـة والخيـر والعطاء والنمـاء لبلدانكم.

وتسـتوقفني هنـا خاطرةٌ طريفـة وهي أني شـكوتُ من عيوبي مـع معرفتـي بخطرهـا ثم رأيتنـي ناصحًا أمينًـا للناسِ أجمـع بما أنا فيه مفرط.

عكس النتائج:

السـعداء وحدهـم هـم الأقـدر علـى قلـب الخسـائر إلـى أربـاح، وذلـك بصـادق الإيمـان بالقضـاء والقـدر.

استخرج أحسن ما في السيئين

رأيتُ أن التعامل مع من لا تطيقهم مجلبة للموت المحتم بل هو الانتحار البطيء.. قال المتنبئ:

ومن نكدِ الدنيا على الحُرِّ أن يرى
عدوًا لـــهُ ما من صداقتـــهِ بُدُّ

فأنت لا تطيقهم من زوايا عدة إما أن يكونوا فوقيِّ النظرة فيزدرون الآخرين ويكتسحونهم، وإما أن يكونوا متلوني الطباع من كذب ورياء ومصالح شخصية تحكم تصرفاتهم، أو أن يكونوا على قدر من السخافة الكبير، فإن المتملقين من الناس ربما كانوا أكثر المستهلكين للوقت وأقلهم فاعلية في إنجاز الأعمال كما يقرر ذلك صاحب كتاب «التعامل مع من لا تطيقهم» أو يكونوا مرتزقة يعيشون على فتات موائد الآخرين المادية والفكرية كذلك.

ومن هنا فإنك مبتلى على كلٍّ من هؤلاء، ولكن لا تيأس من النجاح في التعامل معهم أو على الأقل تحييدهم. فإنك قد تسبب لنفسك الإحباط وأنت لا تشعر..؛ واستعمل معهم بعض هذه الأسلحة:.

أوَّلًا: تجنب ما استطعت الغضب، والسلوك القاسي في التعامل معهم....

ثانيـا: جَنِّـبْ نفسـكَ الزوايـا الحـادة التـي تجبـرك علـى ردة الفعـل العنيفـة، وابتعـد عن مواطـن الريبـة، وعن المواقـف الغبية.

ثالثًـا: كـن صبـورًا حليمًـا حكيمًـا، واجعـل عنـدك بُعْـدَ نظر فـي النتائج

رابعًـا: كـن صريحًا في إيضـاح موقفك من الآخريـن، وأيضًا إيراد انتقاداتـك له بهدوء.

خامسًـا: اعلـم أن بعـض سـيئي التعامـل لا يسـتطيعون أن يسـتمروا بهـذا السـوء علـى وتيـرة واحـدة؛ فـلا تتعجـل النتائـج؛ فإنهـم يزيـدون أحيانًـا؛ فيفضحـون أنفسـهم أمـام المجتمعـات..؛ وينقصـون أحيانًـا؛ فتزدريهـم أعيـنُ الصبيـان.

سادسـا:لا تلزم نفسـك لأحد بشـيء إلا بعد دراسة لجدولك اليومـي أو الأسـبوعي، ولا تخجل من «لا» فإنك قد تُحمِّل نفسـك أشـياء لا طاقـة لك بهـا؛ فتخفق فـي الجمع بينهـا أحيانًـا؛ أو تعيش حياتـك في حالة اسـتنفار دائم.

سـابعًا: اتخذ قراراتك في اللحظة المناسـبة؛ وإيـاك والتردد، فإنـه مُضعف لـردود فعلك في أعيـن الآخرين

ثامنًـا: توقـع مـن الطـرف الآخـر أي شـيء فأنـت لا تعلـم ما يفعل .

تاسـعًا: الكلمـة الطيبـة صدقـة، وقد تكـون حـل الخلاف أو تقريـب وجهـات النظر فـي كلمـة واحدة.

بل قد يكون الكلام أقوى من رصاص المجنزرات، يهز العقول ويحرك القلوب.. والكلمة جهاد.

عاشرًا: تفاءل دائما في علاقاتك وتعاملاتك، ولتكن إيجابية بقدر الإمكان.

الحادي عشر: احذر من المتسخطين على القدر، فإنهم يقبعون وراء كواليس التشاؤم..

بل هم محاطون بعالم ظالم يرونه بمناظيرهم المظلمة، والصواب عندهم هو ما وافق مقاييسهم الخاصة.

هؤلاء عليك التنبه منهم.. بل الحذر كل الحذر، فأنهم محطمون نفسيًّا..

بل ويموت أحدهم في يومه مرات ومرات من تشاؤمه، ويأسه، وتوقعه للحوادث والكوارث والنكبات.. فيا بؤسًا لهم.

فاحمد الله على العافية، واغتبط بنعمة الله عليك، ولا تجلس مع هؤلاء فأنهم يولدون الهموم ويفرزون الغموم في قلوب أصحابهم، فإن كان ولا بد منهم فلا تيأس من احتوائهم، أو على الأقل تحييدهم.

هذه بعض أسلحة أذكياء العالم في إخراج محاسن أهل السوء.

فكن على علم بها وأفد من تجارب الآخرين.

فإن الذين يُقَدِّرونَ المعرفة هم الذين يستطيعون الحصول عليها والانتفاع بها وهذه ذكرى.

ومـن صفات أهـل الإيمـان الانتفـاع بالموعظة، قـال تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات:٥٥] وإلـى سـلامة مـن هـؤلاء النشـاز، وهـذه الصـور المقيتـة المظلمة فـي المجتمع قللهـم اللـه وصرفهـم عنا وعـن كل محـب للخير.

القريب: **أقـرب النـاس إلـى النـاس أكثرهـم سـماعًا لشـكواهم..**

التفاتة غزال

ومن عيوبي قلة مراجعتي لما أكتب فتجدني أكتب المقال أو الخاطر على عفوه، فإذا هممتُ بنشره ضاق وقت المراجعة فأتركه على أصله بعد إجراء عملية قيصرية سريعة لتجميله بحاضر النصوص من المنقول والمعقول.. وأحيانًا أبرر لنفسي.. فأقول: أنا لا أكتب بحثًا أكاديميًا يحتاج لتوثيق وجريدة مصادر، وإنما أنا أكتب مقالًا فحسب.

وأتهافت مع هذا التبرير، فأزيد: وأن ما يكتب على عفوه، وتلقائيته أقرب وصولًا إلى ذوق القارئ الكريم، وأكثر تعبيرًا عما في خاطر الكاتب..

ولذا أصبحتُ أدعو إلى إطلاق القلم على عفوه.. كي يقيد ما يملي عليه ضمير الكاتب؛ لتخرج شخصية الكاتب جليَّة في مداده.. وهذا الفهم والتوجيه ناتج عن حِسٍّ خاصٍّ.. وذوق حساس تجاه قلمه الحبيب.

ولعلي أطلقها لكل مثقف وحامل أدب، دلل قلمك..

ولا تلتفت إلى عفوه التفاتة تحسين لما فات، وضبط ترقيم للرقيم..

ولو أطلت الالتفات؛ لكنت كالغزال؛ وهي على سرعتها تلتفت لتحدد مكان العدو المطارد.. فما تلبث إلَّا وهي بين فكيه .

بقي أن أقول:

لما راجعت الطبعة الثانية من هذا الرقيم، وجدت أن المراجعة للمكتوب نصف التأليف.

التنُّور

رأيتُ أنَّ المحسود من الناس هو صاحب النعمة، وكل صاحب نعمة محسود..

إن يحسدوني فإني غيرُ لائمهم
قبلي من الناس أهلُ الفضلِ قد حُسِدوا

فدام لي ولهمْ ما بي وما بِهمُ
وماتَ أكثرُنا غيظًا بما يَجِدُ

والحاسد كائن يري أنه نشاز في هذا الكون..؛ وأن كل شئ ضد مواهبه، هذا هو عذره، بيد أنه يبرر ضعفه وعجزه وخوره..؛ وأكثر ما يشعل تنور الغضب في قلبه عجزُه عن تحقيق ما حققه المحسود، ولو لم يكن من خطر هذه الآفة إلا أنها كانت أول ذنب على ظهر الأرض؛ لكفى بها مذمة لصاحبها.

وقد قيل: وليس في خصال الشرِّ أعدلُ من الحسد؛ فالحاسد لا يغتم إلا وقت سرورك، ولا يضيق صدره ولا ينطق لسانه إلا وقت نجاحك.

وشكوتَ من ظلمِ الوشاةِ ولن تجد
ذا سؤددٍ إلا أُصيبَ بحُسَّدِ

لا زلتَ يا ســـــبطَ الكرامِ مُحسَّدًا
والتافهُ المســـــكين غير مُحسَّدِ

الغيـظ زاد الحاسـد، وعـدم الرضـى شـرابه ومقيلـه تحـت دوحـة القلـق المخيفـة وحياتـه جافـة جفـاف قلبـه مـن محبـة الآخريـن.

أطفـأ بغيظـه وغيرتـه المذمومـة نـور (لا تحاسـدوا) وأذكـى بتصرفاتـه نـار البغضـاء، فخسـر أولًا وآخـرًا ومـع هـذا لـو عـرف المحسـود مـا لِحُسّـادِه لـه عليه من يـد ومعـروف لَقَبَّلَ بيـن عينيه، وجعلـه لـه مـن الأصفيـاء، وقربـه إليـه تقريبًا..

عُداتي لهم فضلٌ علـــــيَّ ومنةُ
فلا أذهبَ الرحمنُ عني الأعاديا

هُمُوا بحثوا عن عزلتي فاجتنبتُها
وقد نافســـــوني فارتقيتُ المعاليا

بـل قـد لا تشـعر بالنعمـة أحيانًا ولا بالفضـل والمحنـة أزمانًا حتـى يُقَيّض الله لك حاسـدًا عليها وأنت لا تشـعر، فيسـتيقظ منك قلـب غافـل وطرف حائـر، فترى هـذه النعـم العظيمة مـن حولك، وأنت لا تشـعر..

وهـذه حسـنة مـن حسـنات الحاسـد وهـو لا يشـعر، وإلا حسـدك عليهـا أيضًـا وإن تعجـب مـن أحـد، فعجـب مـن حـال الحاسـد.. أقـل مـن محسـوده نومًـا وأكثـر منـه همًـا وغمًّـا، قلبـه

يحترق، وشراينه تضطرب..

ما دام يحمل داءه الذي أشقاه. تضج آلامه كلما رأى صاحب نعمة.

ويقض مضجعه كلما سمع صوت نجاح، وهو يهوي تحت وطأة حسده، والمحسود يصعد الجوزاء بإبداعه ونجاحه وعمله.

إن عيش المحسود لن يهنأ أبدًا حتى يعلم أن بضاعته دارت في سوق الحاسدين، وأنها استحقت مدح المادحين، حينها فقط يدرك سر حسد الحاسد.

الفشل: **عدم تقدير النعم التي منحك الله.. فشلٌ ذريع.. لأنك لن تفيد منها في حياتك..**

أقلامي (١)

إن سألتَ عن الأقلام الذهبية في حياتي فهي باب الأدب.. عملة نادرة.. وخاصة المقالات..

نعم.. إنها عملة نادرة.. في هميان العلم.. فللطنطاوي فضل عليَّ، فهو أول من افتض أبكار المعاني العذاب، وأرهقني بأسلوبه الجذَّاب، في مقالاته وذكرياته..

نعم.. أرهقني.. قد تقول لي أيها القارئ: كيف..؟!

أقول لك: كانت كتبه عندي من الممنوعات في أيام الامتحانات... بل كانت في حكم المخدرات، وأخطر..

لما تشغلني معاينه العِذاب، وشهدهِ المُذاب.. عن مهمات الطُلّاب..

تعرِّي: **لا يطالب بالحريَّة المطلقة إلا من تعرَّى من إنسانيَّته..**

أسير الذكريات

ومن عيوبي: تأثري كثيرًا، فمن عاش على الذكريات أورثت قلبَه أليم اللوعات، وفرَّقت همتهُ، وأضعفت همه..

فصار بارد العزيمة.. قليل الهّمِّ.. والهمة.. وما ذاك إلا أنه أشغل حيِّزًا كبيرًا من وقته وعقله ومشاعره بهذه الذكريات.

وأنا بحق أسيرُ الذكريات.. ولقد رأيتُني أزور مرابع الصبا.. ومراتع الأصحاب..

أتذكر كلَّ أمسية.. وكل لحظة صفاء.. وموقف وفاء.. فيهزني طربًا لماضٍ مشحون بألطف الذكريات.. فأطلق العنان للفكر والمشاعر.. فتلتهب وتأخذ من حياتي شيئًا ليس والله با ليسير .

فتقطع بي عن كثيرٍ مما ندبت نفسي له.. وجعلتُه نصب عينيّ .

بقي أن أقول:

لا تجعل هذه الذكريات مطبات في طريق حياتك ولكن لتكن لك كالحجارة؛ ترتقي عليها كل حين..

وواهاً للقلوب الرحيمة.. ليس لها في هذا العالم إلا تقديمَ التعازي.. وتَقَبُّلَها..

الغسيل الذهني

رأيتُ أن إدمان المطالعة لبعض أرباب القلم، ونجوم الكتابة فيه شيءٌ من المنفعة العظيمة، خصوصًا وأن الحكمة هي ضالة المؤمن..

بيد أنه يورث القارئ أحيانًا شيئًا من التشكل الثقافي اللاشعوري، والانصباغ بصبغة صاحب القلم دون أن يشعر..

بل إني سمعتُ بعضَ أرباب البيان يقول: «إن أردت أن أكتُبَ مقالة، تركتُ ما أقرؤه من كتب المعاصرين التي تزخر بالمعارك الكلامية، أو القصص الغرامية، أو السجع المتكلف، وطالعتُ مصادر البيان، السنّة والقرآن.. فأجدني أكتب بقلمي وقد رَصَّعَهُ البيان الأصيل».. قلت: هذا هو الغسيل الفكري وتعقيم الذهن من أدران الثرثرة الممجوجة..

وقد وجدتُ هذا، وسابقه في قلمي بين الفينة والفينة، فأعمَدُ إلي الغسيل الذهني، لتصفية مخزن الألفاظ، وتنقية مستودع البيان.. عساه أن يجود بشئ جيد يطرب القارئ، ويهش له المعتني ويبش..

وينتفع منه، وإن كانت البضاعة مزجاة، والقلم كليل، والطرف عليل، غير أني أدفق الحبر على الورق لفتح باب، أو رد جواب، أو صيد آبدة، أو تقييد فائدة، ثم إني أجبن عن البخل عن نفسي وإخواني الكرام بها بل منهجي؛

إن الكرام إذا ما أيســـــروا ذكروا
من كان يألفهم في المنزل الخشنِ

فتجدني أقدمها على طبق؛ مع علمي بأن من كتب للناس فكأنما جعل عقله في إناء بين أيديهم يقلبونه كيف شاؤوا..، ومن أَلَّف فقد استُهدِفْ، وكشف مَقاتِلَهُ للناس..

ولكن حسن ظني في أن أقدم للإنسانية شيئًا ولو قليلًا يدفعني بذلك.. ولعل سمعي يطرقه على مدى الزمان: «قليلك يا هذا لديَّ كثير»..

ولكم دعائي.. يا روَّاد الكلمة..

القلب: القلب الجميل هو ذلكم القلب الفسيح، الذي يتسع للجميع؛ ليروا جماله، وحسن بهائه..

عندما أطرب

ومن عيوبي: أنَّ نفسي تطرب إذا رأت نتاجها، سواء الفكري، أو التربوي، أو الثقافي، أو العلمي..

فتزداد حماسًا إلى حماسها.. وسيرًا حثيثًا في طرقات التعليم والتثقيف.. والنفس النقية لا تحتاج للبيئة.. إذ إن الدافع ذاتي، والوقود قلبي؛ فتجد أنها منطلقة لكل هدى، سواءً رأت ثمرة.. أم لم تر شيئًا.. وما ذاك إلا لتعلقها بالآخرة..

أما التأثر والتأثير إذا رأت شيئًا من النتائج؛ فهو في ظني ضعف وعجزٌ في القلب، فيأنسُ القلبُ بشيء من الثمرات الباهرات لأعماله، فتكون دافعةً له لإكمال مسيرته.. وهذا حافز نفسي إذا سلمت النفس من التعلق به سعت لمعالي الأمور، وحقَّقت الأهداف على المراد.

لكنَّ النفس الأبية الشريفة.. لا تحتاج لذلك أبدًا؛ إذ إن دافعها كما أسلفت ذاتي.. فالأول طور.. والثاني شرف، وأنا أنازعها بينهما، وعساني أخلص لا لي ولا عليَّ..

وليت شعري هذه الدنيا لمن؟؟!!

أقلامي (٢)

الرافعي مصطفى، أذهلني في طول نفسه.. وبُعد مرماه، وجزالة لفظه..

وهو في الكَتَبَة عندي كالمتنبي في الشعراء عند الناس ولو طالعت «وحي القلم»، لرأيت سحرًا حلالًا..، لكنه كان كمن ينحت في الصخر، ولقد سلمت له ذائقته الأدبية بسبب الصمم الشديد الذي أصابه.

يقول علي الطنطاوي: كنا إذا أردنا أن نخاطبه كتبنا له ورقة بما نريد..ومن تأمل «أوراق الورد» علم أن الرجل مصنع من مصانع البلاغة.

ومنجم من مناجم الإبداع..

معادلة: **بين العقل والعاطفة كما بين الرجل والمرأة..**

استجمام

رأيت أن النفوس لا بد لها من الاستجمام والبعد عن الروتين والسآمة؛ لكي تنطلق في ميادين الحياة..

وما لا يتم الواجب إلا به؛ فهو واجب، ولهذا فإني أدعوك لرحلة خلوية، صباح أحد الأيام المشرقة، ثم ليكن وقتك ملكك.. أعط أسرتك شيئًا من الحنان والعطف، وشيئًا من الأولوية والاهتمام، خصوصًا في مثل هذا اليوم.. جدد حياتك، واقترب من المكان المخصص للطبخ، وحاول مع ربَّة بيتك أن تصنع الغداء..، ولو محاولة أو مشاركة.. كن في هذه الرحلة خادمًا للجميع.. فلعلها أن تدفعك للنجاحات التي تقدمها، وأيضًا: لعلها أن تُكَفِّر شيئًا مما اجترحته في حقِّ أحب الناس إليك، وأقربهم منزلة، وأصبرهم عليك؛ فتصيب عصفورين بحجر..

كن في هذه الرحلة قريبًا من كل أحد بالحنان، حريصًا أن يعود الجميع بمشاعر الحب والذكريات الحسان، وتذكر دائمًا..

إنما المرءُ حديثٌ بعده
فكن حديثًا حسنًا لمن وعى

ثـم إن هـذه الفرصة قـد لا تتكـرر إلا لاحقًـا؛ فأغلـق هاتفك النقـال، وانعـم بالاندمـاج مـع مـن حولك..اقطـع العلائـق عـن الخلائـق، واجعـل هـذا اليـوم ممـا لا يتـم الواجـب إلا بـه، وافتح صفحـات مغلقـات مـن حديـث الـود والنجـاء، والصفـاء مـع أبنائـك، وخصوصًـا المراهقيـن منهـم، فهـم بحاجـة لمـن يقـف بجوارهم..اغتنـم الدقائـق لدغدغـة عواطـف «أم العيـال»، ورأس الذخيـرة والمـال.. وذَكِّرْهـا محاسـن الماضـي، وهُـزَّ وجدانهـا بتيـارات الحـب الصادق.. فلعل مشـاغلك قد أشـغلتك عن شـيء من هـذا..

وبعـد تقديـم هـذه النجاحـات فـي هـذه الرحلـة مـع النفس ومـع الزوجـة، ومـع الأبنـاء والبنـات، لا تتوقـع شـيئًا مـن أحد..، ولا ترجـو ثنـاء مـن أحد، فـإنْ أحـد أثنى فأنـت أهـل، وإن أحد لم يثـن فـلا تأبـه، المهـم أنـك قدمـت إحسـانًا ولطفًـا لمـن تحب..، وجـدَّدت حياتك بشـيء من الاسـتجمام، لبلوغ المتعـة والنجاح..

الحرية: **الحريــة لا تعنــي حمايــة الخطــأ، وإعطــاءه فرصــة التكاثــر..**

وتبت

ومـن عيوبي: أننـي أكره المغامـرة.. وعلى هـذا؛ فإني أخاف مـن كلِّ جديـد.. وكـم فاتنـي من هـذا الخير بسـبب هـذا الخوف. ترانـي سـاكنًا وادعًـا.. حتـى إذا انقضـى الأمـرُ أو كاد.. فـلا أَنْفَـكُ عـن حالين:

أحدهمـا: أنـي أجبـن جبنًـا أتوقـف فيـه عـن المغامـرة.. مع قطـع الخواطـر عـن الطمـع فيها..

والثانـي: أننـي أُقرر بعـد الوقت المتـاح.. فتذهـب الفرصة.. وقـد لا تعـود.. وقـد ضيعت مـن الفـرص الحياتيـة.. ما قـد تتعلق نفسـي بهـا إلـى أمـد.. وعمومًـا التجاسـر.. والشـجاعة القلبية في القـرارات الحياتيـة.. مـن قواعد المغامريـن التي قـد يحصلون بها علـى مـا لا يحصـل عليه أحـد مثلي.

أمـا أنـا؛ فقـد حاولت مـرةً واحـدة فقـط.. فأصابـت مقتلًا.. فتبـت إلى اللـه من ذلـك[1]..

وكذلـك كل جديـد، ولَعَـلَّ هـذه متلازمـة لنـا معشـر المتخصصيـن فـي علم الشـريعة في هـذه البلاد.. وهي التحسـس والتوجـس مـن كلِّ جديـد، وهـذا غلـط...

وأحيانًـا يكـون هـذا محمـودًا مـن بـاب الحـذر وهـو مـن

(١) في مساهمة مالية أكلت الأخضر واليابس.. وبقيت رهينا للبنوك عقد ونصف.. ذقت في تلك الفترة ما لم أذقه طيلة حياتي وهي قيمة الدرس.

الفطنـة، وأحيانـاً يلحـقُ بعيوبـي كما أسـلفت.. فأجـد أن القلب لا يرتـاح لتعاطـي الحاسـب كراحته للتعامـل مع الكتـاب.. وهكذا.. فـلا يطربنـي كل جديـد فـي الغالـب، حتـى أعـرف دِقَّـهُ.. وجُلَّه.. فـلا أرفضـه رفضًـا قاطعًا؛ فـإن الرفض القاطـع قتل للعقـل.. ووأدٌ للمعرفة.

وإنمـا أتهيبـه حتـى أتبطن أسـراره.. وأعـرف أفـكاره.. ومن ثَـمَّ قد أتبنـاه بعـد ذلك..

بلا شروط:

بـلا شـروط: صانع التميُّـز لا يعلـم أنَّ الذي يولـد ليزحـف.. لا يطير،
وأن الذي يولد ليطير.. لا يزحف..
فهو المُتَقَبَّلُ لنفسه بلا شروط وبلا قيود..

الحرية المأسورة

ليس العنوان جنونٌ يا سادة..؛ وليس فيه ما يدعو إلى العجب.. فهو حقيقة ماثلة للعيان، مثلما أنكم تنطقون.. أُسِرَتْ برباط جعل منها سيدة العُهر والفساد؛ بل والإباحية والإلحاد.. في زمنٍ الناسُ أحوج ما يكونون إليها..

إنها الانطلاقة مع عدم السقوط والإعاقة.. إنها إطلاق العقول فيما أباح الربُّ جل في علاه لها.. إنها التحرر من عقول البشر، ولزوم وحي خالق البشر.. إنها البعد عن أوحال العقول المظلمة ومتاهاتها، إلى سماء الصفاء والنقاء..؛ إلى الشريعة السمحاء..الخالق سبحانه أعلم بما يَصلُح لمخلوقه، وقد حَدَّد ما يصلح للمخلوق منها، وقيَّده.. جل شانه.. لا يلجُ طالب الحياة إليه إلا به..

ولا يمتد جهدهُ إلا وقد صحبه.. ولَمَّا تجاسر كثير من أهل الشهوات والضلال..دعوا بدعوى شريفة؛ ليُلبِّسُوا بها باطلهم، كما تُلَبَّسُ الشوهاءُ فستان العروس..فكانت في حبس كئيب، وهي من أسمى المعاني وأعظمها..

إنها الحرِّية المظلومة..يقول الشيخ محمد الخضر حسين في كتابه: «الحرية في الإسلام».. «ينصرف هذا اللقب الشريف» يعني: الحرية «في مجاري خطابنا اليوم إلى معنى يقارب معنى استقلال الإرادة، ويشابه معنى العتق الذي هو فك الرقبة من

الاسترقاق». ا هـ.

أمـا أن يتجاسـر علـى هذا المعنـى من يتجاسـر، ثم يلبسـهُ ما شـاء مـن الأقنعة؛ فـلا.. وألـفُ لا.. و واللـه إنه لحق علينـا الذّبِّ عن هـذه الأسـيرة.. كيف لا..

وفيهـا معرفـة الإنسـان بحـدوده وواجباته، وحقوقـه.. كيف لا..

وفيهـا طُهْـرة للأنفـس، ومرتَـع خصـب لهـا فـي تزكيتهـا، وتعقيـم نواياهـا، وإصـلاح قصدهـا.. كيـف لا..

وفيهـا احتـرامٌ للإنسـانية، ورفعـة للبشـرية، وصـلاحٌ للراعي والرعية..كيـف لا..

وفيها رفعٌ للواء الشهامة، وإعلاءٌ للهامة.. وعزَّةٌ ومهابة..

كيـف لا.. وفيها لزومٌ للإنصاف، وسـكونٌ واعتـراف، فالكلُّ يعـرفُ حَـدَّه، وما لهُ ومـا عليه..

كيـف لا.. وفيهـا خليـطٌ مـن البيـان والإذعـان، والخيـار والإتقـان.. كيـف لا..

وفيها محسـنٌ، وظالم لنفسـه مبيـن..؛ الكلُّ مجـزيٌّ بفعاله.. المهـم أن شـمس الحريـة إذا ألقت بأشـعتها على الحيـاة.. جعلت منهـا طعمًا آخـر.. من السـعادة، والأمـن، والإبداع، والاسـتقلالية فـي الفكـر.. والبقـاء علـى الثوابـت، بـل.. والثبـات عليهـا.. والعجـب لا ينقضـي ممـن جعـل «الحريـة» أسـيرةً..أقول: ولا تعجـب فـي عالـمٍ ملـيء بالمتناقضـات..

إن الحريـة يا سـادة تؤسـس في النفـوس معانيَ عظيمـةً، وقد لا يمكـن ذلـك لأي فضيلة مـن الفضائل أن تصنـع صنعها..

ثـم إن الحريـة تُسـاهم فـي دفـع الإنسـان إلـى التعلـم، والمشـاورة فـي الاختيـار، والاقتـداء، والإدارة الفاعلـة..؛ بـل والـذوق الأدبـي، والحـسّ العاطفـي الصحيـح فـي توجيهـه..

وفـي معنـى المقـال ومـراده يكتـب سـيف الإسـلام ومـن اسـتوحى الأقلام: مصطفـى صادق الرافعـي -رحمه اللـه- فيقول فـي «وحـي القلم»:

«انظـر مـا فعلـت كلمـة (حريـة) بكلمـة (تقاليـد).. وكيـف أصبحـت هذه الكلمـة من مبذوء الـكلام ومكروهـه، حتى صارت غيـر طبيعيـة فـي هـذه الحضـارة، ثـم كيـف أحالتهـا، فجعلتها في هـذا العصـر أشـهر كلمة يُتهكـم بها علـى الدين، والشـرف وقانون العُـرف الاجتماعـي فـي خـوف المعـرّة والدنيئـة، والتصـاون مـن الرذائـل، والمبـالاة بالفضائـل؛ فـكلُّ ذلك تقاليـد» ا.هـ.

فالحريـة مصـدر مـن مصـادر الفضيلـة، ونبـعٌ ثَـرٌّ مـن منابـع الطمـوح والإبـداع..

وعلـى كلِّ حـال، فهـذه نظـرة مـن نظراتـي، وسـهمٌ مُصمـى فـي فـؤاد أدعيـاء الحريـة..، وجولـةٌ في بسـاتين الإنسـانية، وتأمُل فـي شـيء مـن أخـلاق البشـرية.. دفعنـي لهـا الدفـاع عـن سـيدة الفضائـل.. وتخليصهـا مـن براثـن الأدعيـاء..، وقـد ظُلمـت كمـا ظُلـم الحُبّ. فعسـاي أن أُقـدم ما ينصفهـا، وأجهدُ في فـك قيدها، وأوفـق فـي حسـن القصـد مـن طرحها..

وأبقي في قلوب الشرفاء خلقًا كريمًا.. يَدْفَعُ إلى كل فضيلة..، واسلمي لمحبك..

رفاهية:

نحن بحاجة شديدة إلى رفاهية الروح، أكثر من رفاهية الجسد..

رغباتي

ومـن عيوبـي: أنـي كثيـر الاسـتجابة لرغبـات الآخريـن على حسـاب رغباتـي الذاتيـة، وليـس هـذا فـي ظنـي مـن الإيثـار فـي شـيء.. غيـر أنـه عطـاء لا حرمنـي اللـه عليـه الجـزاء..

والمـراد: أن المتحقـق لـي فـي الغالـب من رغباتـي لا يكون إلا بعـد رغبـات الآخرين.

وسـواءً أكانـت رغبـات ذاتيـة خاصـة، أم رغبـات لازمـة؛ كرغبـات أبنائـي وبناتـي.. ومرادي مـن ذلك: أن نفسـي لا تحصل علـى رغائبهـا إلا بعـد طـول صـراع.. هـذا إن حصلـت عليهـا أصـلًا.. وإن حصلـت عليهـا كان فيهـا مـن النقـص مـا فيهـا.. عمومًـا أشـعر أنـي أظلـم نفسـي أحيانًـا كثيـرة.. ومـا ذاك إلا مـن قلـة مـا يحصـل لهـا مـن رغائبهـا.. ولكنـي مع هـذا أحمـد ربي.. وأسـتمتع بلحظتـي؛ فإن العيـش في اللحظـة من مفاتيـح النجاح.. فـلا تنشـغل بأمـس الماضي.. فقد ذهب بخيره وشـره، ولا تنشـغل بغـدٍ الآتـي؛ فإنـه مقبـل علمُه عند ربـي، ولكـن انشـغل باللحظة.. نعـم انشـغل باللحظة..واسـتغرق فيهـا.. وتلـذذ بهـا..

وعـش ناجحًـا سـعيدًا مـا اسـتطعت إلـى ذلـك سـبيلًا.. فأنا أسـعد بمـا لـدي قبـل الـزوال وانشـغال البال..

لقاح العقول

رأيـت أن قافلة الحياة لا تسـير في أمنٍ ودعـة، إلا إذا أحاطتها جنـود الأدب، ودروع حسـن التعامل..، وتـروس المحبة، والأدب مشـعلٌ في دروب السـالكين على طريق الحياة..

بُلِيَـتِ الخلائـق في هذا الزمـن -إلا مَن رحمه اللـه- بالمادية المرهقـة، والجهـل المطبـق، ورِقَّـةِ الديـن.. وكل هـذه العوامـل مفاتيـح لمسـخ الآداب وضياع الأخلاق.. «وإنمـا الأمم الأخلاق مـا بقيت»..

وذهـاب الآداب.. يعقبه ذهابُ الثقافـات، وذهاب الثقافات، يعقبـهُ ذهاب الثوابـت والمعتقدات..وهذا خطيـر جِدُّ خطير..

بـل هـو السوسـة الناخـرة فـي صميـم عظم سـاق هـذه الأمة المعطـاءة.. قـال عبداللـه بن المبـارك -رحمـه الله-: «مـن تهاون بـالأدب عوقـب بحرمـان السُّـنن، ومـن تهـاون بالسُّـنن عوقـب بحرمـان الفرائـض، ومـن تهـاون بالفرائـض، عوقـب بحرمـان المعرفـة» ا.هـ.

فـالآداب درعٌ مـن دروع الإنسـان فـي مواجهـة الشـيطان.. الأدب فـي القـول..

الأدب في الفعل..

إشراقة الـمُـحيا أدب... الروح المرحة.. أدب..

الكلمة الصادقة الحانية.. أدب..

فالأدب ربيع النفوس...ومرتع قلوب الأطهار...هو نضحةٌ من العواطف، وقطعةٌ من فنون الروح.. به تسمو الروح.. ويعلو الطموح.. وتشرق شمس الأمل، في دنيا العمل.. بالأدب تستحيل القلوب.. إلى مصابيح من نور، وقناديل من بلّور.. وتصمدُ للمصائب والكروب.. والأدب مع كثير من الناس أنفعُ من المشاكسات والحروب فمتى يعلم المحرومُ أن الأدبَ مفتاحُ القلوب، ولقاح العقول، وإكسير الحياة.. متى يعلم ذلك؟!.. متى؟!!

إن ملامح البشرية لا تكتمل إلا بالأدب، وإنَّ معالم الإنسانية لا تنضج إلا بالأدب.. ولقد جاء الإسلام بمكارم الآداب، ومحاسن الأقوال والأفعال..

بل كان ﷺ أرقى الناس تعاملًا، وأحسنهم أدبًا، وألطفهم إشارة، وأرقهم عبارة، بل زكاهُ الله فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤]، ولنا في رسولنا» قدوة حسنة، وأسوة مباركة..

ولقد رأيت في حياتي التي لم تجاوز الربع قرن إلا بشيء يسير[١]:

أن الخاسر في المجتمعات هو الساقط في التعاملات.. والناس تُحِبُ من يحسن إليها، ويقدّر مواهبها، ويثني على إنجازاتها، ويدعو بظهر الغيب لها..

(١) هذا عند كتابة المقالة... أما الآن فقد أوشكتُ على إتمام نصف القرن، جعله الله عونا على ما يحب والله المعين..

الناس تحب من يتأدبُ معها، ويعاملها معاملة حسنة..

أما اللفظ الغليظ؛ فلا يحبونه، ولا يألفونه..

ثم إن آدابنا وسلوكنا يجب أن تكون في ضوء ثوابتنا وعقائدنا.. فإننا مهما شعرنا بالتميز في الأدب في تعاملاتنا، ورضى الآخرين علينا.. إلا أن هذا كله لا شيء، إذا تخالف مع شيء من مقدراتنا ومبادئنا..

مهما أثنينا على أنفسنا، ومهما أثنى علينا الآخرون، فإن من الصعب علينا أن نتخلص من الشعور بالدونية إذا كانت سلوكياتنا وأوضاعنا محل إدانة من عقائدنا ومبادئنا..

وهذا كلام في منتهى التعبير الصادق على سلوك الأدب الصادق، الذي جوهرهُ وجذوته من شريعتنا المباركة..فاسلك سبيل الأدب لتنال به الأرب، ويحصل لك الطلب، دون خوفٍ وعطب.. فإنما هو بضاعة الصالحين، وتجارة المفلحين، وعتاد الصابرين..

هو مالُ من لا مالَ له.. وشعار من لا شعار له.. ودثار من لا دثار له..

وإن شئت مرتكزهُ ولُبّه، فطالع دواوين السُّنَّة، تجد الشهد المذاب، بل وألطف الأخلاق والآداب.. وإياك والفصام النكد..

مبادئ:

نحن بحاجة للتأكيد على المبادئ العظيمة التي نحملها.. في هذا الزمن..

النقد الصحي

ومن عيوبي: أن عين الناقد عندي فيها منتور.. فأنا قليل النقد. للأفراد والمجتمعات، ولكنني متعلق بنقد الفكرة المجردة دون صاحبها.. والمعنى: أن العين الناقدة دليل يهدي أهل الطريق إلى الصواب.. وما ذاك إلا لأنها تبصرهم الطريق على الحقيقة.

والنقد هو تقويم للمعارف.. وفحص للآراء..مع اعتبار المقاصد ووجهات النظر.. ، دون النظر لقائل الفكرة، وصاحب الرأي..

فإن هذا النقد هو النقد الصحي الذي نحتاج إليه.. وهو دلالة واضحة على انفتاح العقول على الآخرين، مما يجعلها تتلاقح فكريًّا لتكمل نضجها.. يقول اللورد توماس: «العقول كمظلات الطيارين، لا تنفع حتى تُفتح » ا.هـ.

وأنا أقول: «إن العقول لا تُفتح حتى تُنقد..». فالنقد عملية حركية للعقل تنشطه وتُرِّيضهُ حتى يقولب الأفكار، ويتبنى ردود الأفعال.. ويصور خطط الحياة، وفنون التعامل مع الأحداث.

طاقة:

الاعتدال والتوازن في الحياة يكسبنا.. طاقة كبيرة في تحمل مشاق النجاح.

الغد

رأيت أن إعمال الذهن في الغد المقبل متعب للبدن، منقصٌ للعقل.. بل يسوقه إلى الوهن..

وهذا «الغد» يختلف في عيون الناس.. فمنهم من يرى أن هذا «الغد» وحشًا كاسرًا، وخطبًا مهيبًا، وأمرًا عصيبًا..فيخشاه، ويخافه..فهو السحابة السوداء المقبلة..

وهذا المسكين يعيش عيش التعساء، ويموت في يومه مراتٍ ومرات.

وآخر يبني فيه آمالًا، ويحطم آلامًا..ويبتهج به على وجه الانتفاع والاستمتاع، وحين لا يحصل ذلك يذمُّ القدر، وهذا خطر..

وثالث ترك «الغد» حتى يأتي، وعاش يومهُ، فحصر نجاحاته، وحقق أمنياته..ولم ينساق أبدًا وراء أحلامه، وترهاته.. وكَرَّس جهده في يومه، وصنع خططه الخمسية، لتحقيق النجاح..ولم يعلِّق قلبه بشيء من مخاوف «الغد»..

والحقيقة: أن من عاش ما عاش صاحبنا، فإنه سيعيش عيش السعداء، ويسير سير الحكماء، وينجح نجاح العظماء..

بل يُعَدُّ من الكبار.. خُلقًا، وعلمًا وعملًا.. وبُعد نظر..

وليســـــت حياةُ المرءِ إلا أمانيَ
إذا هي ضاعت فالحياةُ على الأثر

رجولة مزيفة:

إنَّ من يعشـق الراحات.. ويجانب المشقات.. وتسـتميله الشـبهات.. ويترك البطولات.. ولا يحتـذي بالقـدوات.. فاقـدٌ لمعانـي الرجولـة الحقَّـة.. والكثـرة مـن أمثـال هـؤلاء قلـة.. لا كثَّرهـم الله.

جموع الكذب

ومن عيوبي: أنني لا أحسن المديح.. وإن كان هو دأب أهل العصر.. وأدبهم.. وديدن بعضهم.. وهجيراهم..

وما ذاك إلا أن أبناء الدنيا يطلبونها من سادتها..، ومن طمع ذَل، فهم يجيدون المدائح، ويلهبون القرائح؛ لصهر مزيج من الكذب.. والدجل.. والكذب على التأريخ.. وعلى ضمير الإنسانية.. وعلى أهل الدنيا.. من أجل دنياهم..

فترى أجبن خلق الله يُمدح بممادح عنترة العبسي..وترى أبخل خلق الله يُمدح بممادح حاتم طي.. وترى أجهل خلق الله يُمدح بممادح الشافعي.. وترى أغبى خلق الله يُمدح بممادح الذهبي.. وترى جموع الكذب..

زرافاتٍ.. لا وحدانًا.. وجماعاتٍ.. لا أفرادًا تساق رؤوسها بعقيرة شاعر ماذق فاسق، لا يرجو إلا دنياه.. إلى حضيرة جاهل.. لا يطربه إلا المدح فيه.. فقط.. حتى ولو علم أنه كذب..

فكلما بالغ الشاعر في كذبه، وزاد في إطرائه.. كلما لمع نجم هذا الشاعر، وفاخر الناس بأنه مادح فلان ابن فلان.. عمومًا.. لا يطربني المدح الماذق، ولا الشاعر الكاذب الفاسق.. وأعظم مدائح الإنسان هي نجاحاته.. نعم.. إن أردت ملاحم الثناء.. وإلياذات التبجيل.. فقدم نجاحاتك للجيل..

فهـي المِـدَحُ التـي لا تنسـاها الأجيـال علـى مـر العصـور..

وقاعدتـي فـي ذلـك: «اتـرك أفعالـك تتحـدث عنـك».. هـذا وربـي مـن أصـدق المـدح.. ولهـذا قـلَّ أصحـاب الأفعـال، وكثـر أصحـاب القيـل والقـال، فجعـل المـدح بضاعـة.. واتُّخـذَ صناعتـه.. وهـو مجردُ مشـاعر ينثرهـا شـاعر.. وخواطر يبـوح بها مصـدور.. فظلـم كمـا ظلـم غيـره فـي حياتنـا.. فأنـا لهـذا كرهت المـدح.. فتجدني لا أمـدح أحدًا إلا أصحاب الأفعـال.. ولا أحب المداحيـن أبـدًا أصحـاب الأقـوال..

مرض: عـلاج الأخطـارِ بتغطيتهـا، وتجميـلُ الظاهـر فقـط هو أخطـر من المـرض علـى الحقيقة..، وهـذا كلَّـه لن يغيـرَ مـن خطـورة المرض..

فائدة

الكذب في المشاعر من أخطر أنواع الكذب..

والشعر مشاعر وأحاسيس.. فإذا حُمِلَ على مدح من لا يستحق المدح؛ فهو خيانة للمشاعر..

وقتل للأحاسيس.. ودركة خطيرة من دركات الكذب..

وتأمل: «حتى يُكتَب عند الله كذابًا». صلى الله على الصادق المصدوق...

لطيفة:

مدحُ أهلُ المدحِ وصفٌ وثناء..

ومدح أهل الذمِّ كذبٌ وخيانة..

بلا صلاحية:

العقد الشريف مع الحياة الناجحة.. لا يكون إلا بين التدين والعلم الصحيح.. وكل تديُّن بلا علم، صلاحية عقده محدودة جدًا جدًا.. بل قد يكون بلا صلاحيَّةٍ أصلًا..

لا أقول وداعًا

بل أقول..

* لا تكـن عطـرًا مُقَلـدًا.. لا يجلـب للنـاسِ إلا الحساسـيةَ.. والروائـحَ المقلـدةَ.. والعواطـفَ الباردة..

* تغافـل مـع من تحـب.. فالمتسـامح يغفـر.. ويسـتر.. إلى حَـدّ.. لكنـه إذا رحـل.. لـن يعـود أبدًا..

* حافظوا على على أصدقائكم؛ فالعيش صعب..

* وأخيرًا..

كُنْ لمن تحب كالوطن..

تتقطع القلوب حنينًا إليه..

بقي أن أقول كما قال الأول:

وإنـــــي جبانٌ في فـــــراق أحبتي

وإن كنت في غير الفراقِ شجاعا

ماذا يقال بعد موتي؟

أيقال: كان... وكان... ليت شعري ماذا يقال..

أيقال: رحمه الله رحمة واسعة... أم ماذا يقال..؟!

أُلَفُّ في خرقة بيضاء.. ثم أُوسدُ الثرى.. ويهال التراب.. يا الله..

لا أنيسَ ولا أحباب.. ولا زوجة ولا أصحاب..

ليت شعري ما يُقال..

أيُقال: كتب وكتب..، وألف وصنف..

ليت شعري.. أَو لِيَ منها حظ ونصيب.. أم أنها هباء..

وسمعة ورياء..

أعوذ بعظمة الله من الخسران...

بقي أن أقول لكم:

هذه خطرات كتبتها بمداد الروح.. فيها التجارب والعيوب، والاعترافات، وقد رقمت بعفو الخاطر..

لم أتكلف شيئا؛ بل تركت القلم على سجيته.. وعلى بساطة صاحبه... عساهُ أن يرسم طريقا للسالكين، ومنهاجا للقاصدين..

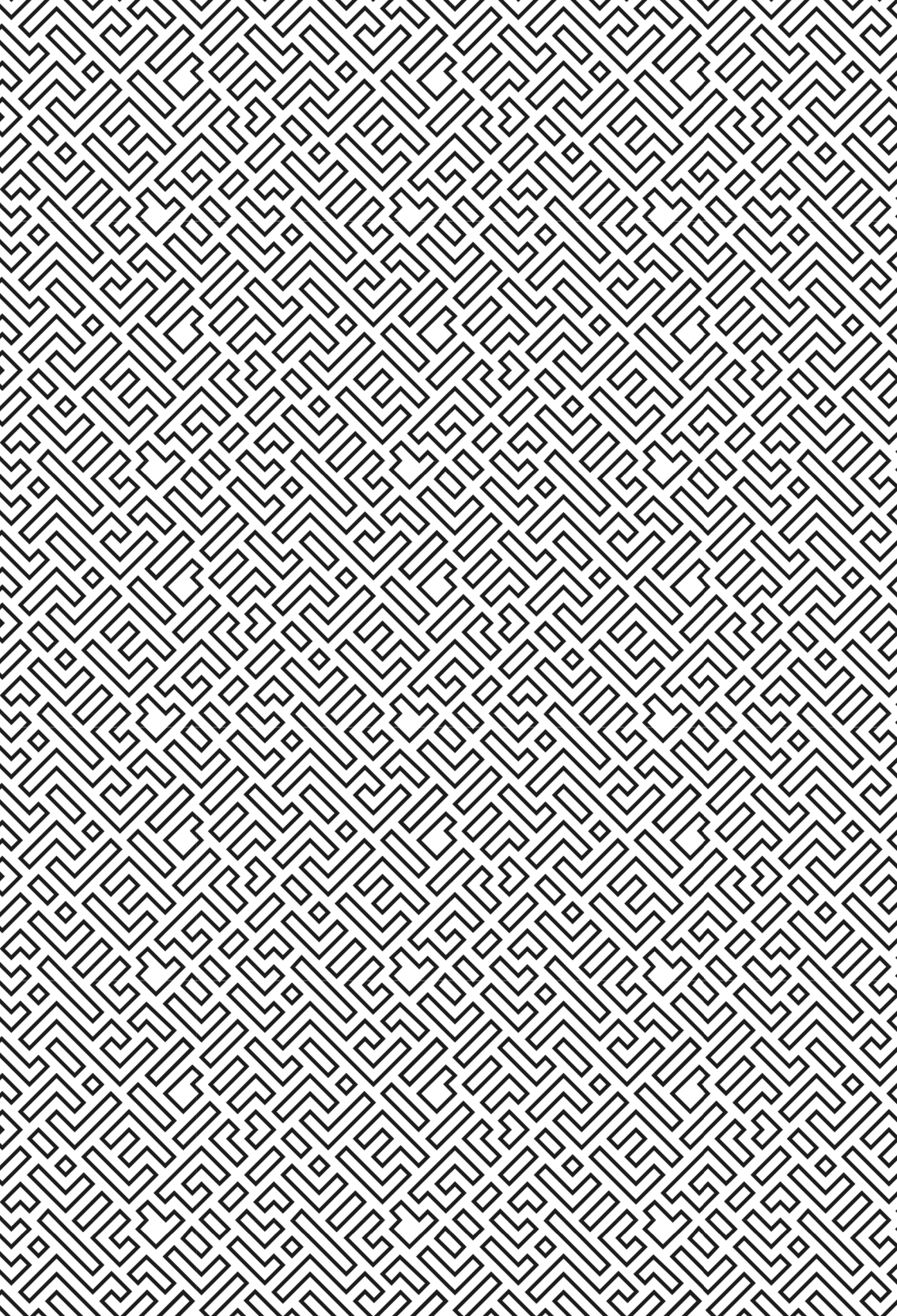

الفهرس

النَّص **صفحة**

إهداء ٥
مقدمة الطبعة الثانية ٧
بواكير ٨
سلطان الأفكار ١٠
كأس من الشاي ١١
قلمي ١٧
قصة يتيم ٢٢
الحسناء ٢٦
دنياي ٢٩
قال لي ٣١
أزمة أخلاق ٣٢
لحظة ٣٥
رائحة الآباط تزكمني ٣٦
فواتير يومية ٣٧
موقفي من الناس ٣٩
لحظة حُبٍّ ٤٢
أَمْثَلُ عقوبة ٤٣
ما بين وبين ٤٤
كتوم ٤٦

الحياة الذاتية..... ٤٨
الميزان..... ٥٠
لحظة سمو ٥١
أساتذتي (١) ٥٢
لا تنس..... ٥٣
وعظتني نفسي..... ٥٥
لا تترك خبزك ٥٩
أساتذتي (٢) ٦١
بعد الخمسين ٦٢
لحظة مع الأدب السامي ٦٧
المصيدة ٦٨
الدراهم..... ٧٠
مذهبي في الحياة ٧١
لحظة ثقيلة..... ٧٥
خلاصة الخلاصة ٧٦
سادات السادات ٧٨
في خياراتنا يكمُن نمُوُّنا ٧٩
الحبس ٨١
الإدمان ٨٣
لحظة جُوَّانِيَّة..... ٨٤
لا تظاهر بالعداوة أحدًا..... ٨٥
خذ ودع..... ٨٦
أولويات ٨٨
لحظة شهوة..... ٩٠

مركز الصيانة ٩١
بركاني ٩٢
أفصح ٩٣
لحظة وفاء ٩٤
راحة الشعوب ٩٥
ليلة الهروب ٩٧
لحظة احتجاج ٩٨
العيش في اللحظة القادمة.. ..... ٩٩
يوم في حياتي ١٠٠
حلول سلمية ١٠٣
السعادة تنبع من الداخل ١٠٥
لذة اللذة ١٠٨
رأيٌ في الوظيفة ١٠٩
رصدًا ١١١
لا أقول: لا ١١٢
سجين الفكرة ١١٤
لحظة لذَّة ١١٥
مجتمع العقول ١١٦
عندما أطرب ١١٨
نافذة على حياتي ١٢١
لحظة طلب ١٢٧
تعميم ١٢٨
قانون القراءة ١٣٠
فرقٌ.. وأيُّ فرقٍ ١٣١

لحظة مع العنقاء ١٣٢
محكمة العدل ١٣٣
أسير بلا كُنَّاش ١٣٤
حائط المبكى ١٣٦
رأي في الفتن ١٣٧
لقمة هنية..... ١٤٣
تجربتي الثمينة والقاسية..... ١٤٤
سريع الذوبان ١٤٦
الحب الغبي ١٤٨
القدوة تحيطه الأنظار ١٥٠
مشكاة الظلام ١٥١
برود ١٥٣
الخِلُّ الوفي..... ١٥٤
مناظرة سفيه..... ١٥٦
التأخير الأحمق..... ١٥٨
القرار قرارك ١٦٠
ليتني معهم..... ١٦١
لحظة إيثار ١٦٤
كشف حسابي ١٦٥
قراءتي (١) ١٦٦
لذتي..... ١٦٧
أتغافل ١٧٠
رأيٌ في المراجعات..... ١٧٢
عندما أكون ضعيفًا ١٧٤

آزِرْ من وجدتَ.... ولك سهم..... ١٧٧
قراءتي (٢) ١٧٨
العزلة..... ١٧٩
نمطي غريب ١٨١
استخرج أحسن ما في السيئين..... ١٨٣
التفاتة غزال..... ١٨٧
التنُّور ١٨٩
أقلامي (١) ١٩٢
أسير الذكريات..... ١٩٣
الغسيل الذهني..... ١٩٤
عندما أطرب ١٩٦
أقلامي (٢) ١٩٧
استجمام..... ١٩٨
وتبت ٢٠٠
الحرية المأسورة ٢٠٢
رغباتي ٢٠٦
لقاح العقول ٢٠٧
النقد الصحي ٢١٠
الغد..... ٢١١
جموع الكذب..... ٢١٣
فائدة..... ٢١٥
لا أقول وداعًا ٢١٦
ماذا يقال بعد موتي؟ ٢١٧
الفهرس..... ٢١٩

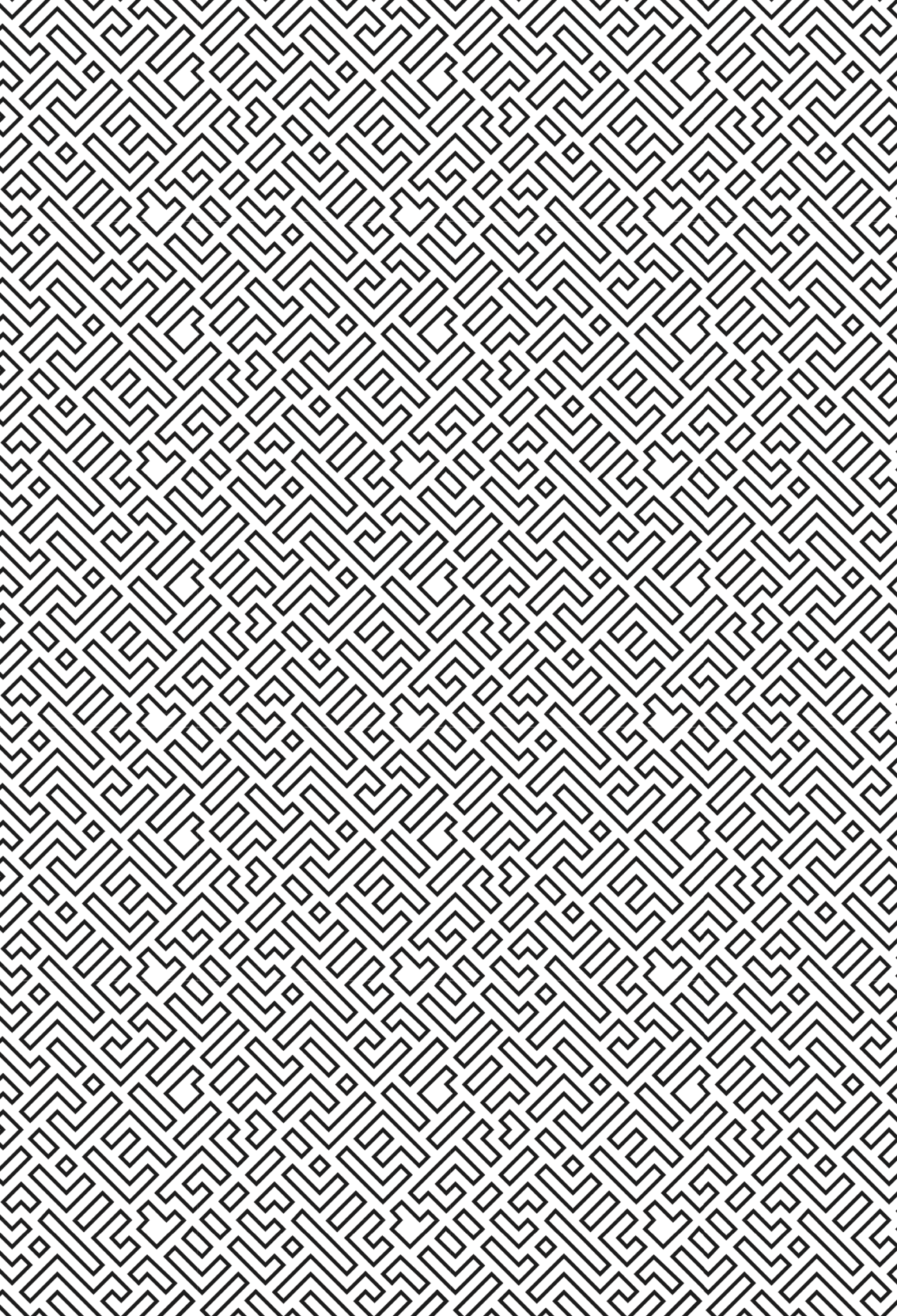

أنا بعيدًا عن الأنا.. أنا بعيدًا عن التكلُّف والتعسُّف بكلِّ بساطة وصراحة.. والحقيقةُ.. لا شيء أصعب على النفس من التحدث عنها.. غير أني آثرت خوض هذه الغمار شغبًا على الصمت...

وتفلُّتًا من ((الأنا)) المذمومة، وبوحًا بالمسكوت عنه..

وما هذه المحاولةُ إلا خروجًا بالنفس إلى آفاق الواقع، وكسرًا لصنم ((العندية))، وهتكًا لحرز الكهنوت الذى صنعه البعض حول نفسه، علم أم لم يعلم.. ومن خلال هذه الوريقات.. سنُنَبِّشُ في الذكريات والآلام والآمال..

عسى منتفع ينتفع.. فهي معالم فكر... ورايات طموح... وكشف مستور..

وجرأة على الذات.. فخذها بقوة.. واعلم أنها كتبت بتلقائية... وهي عفو الخاطر...

ولقد وجدتُ أن أجمل شيء في الحياة أن تعيشها كما هي بكل تلقائية وعفوية، وبلا تكلف فالتكلف صَنَع من الناس دُمًى باردة بلا مشاعر... بل حلت المادية الجافة من الناس محل سوء...

فعاش الناسُ جفافًا عاطفيًّا، حتي باعوا عواطفهم.. وامتهنوا أحاسيسهم، وخاضوا في أوحال المجاملات الممجوجة..

حتى أصبحتَ تشعر بالاختناق إذا غشيتَ مجالسهم.. وما هذه الوريقات إلا زفرات مصدور..

خاضعةٌ لناموس الحق...